

الكندري، لطيفة حسين - ملك، بدر محمد (٢٠١٠). الآراء التربوية عند عائشة عبدالرحمن "بنت الشاطئ". القاهرة: مجلة عالم التربية، العدد ٣٠، السنة ١٠. من ص ١٥ إلى ٧٨.

الآراء التربوية عند عائشة عبدالرحمن "بنت الشاطئ"

د. لطيفة حسين الكندري

د. بدر محمد ملك

قسم الأصول والإدارة التربوية

كلية التربية الأساسية

بحث ممول من الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب رقم (BE-09-08)

٢٠٠٩هـ-٢٠٠٩ م

## محتويات البحث

٢	محتويات البحث
٤	المقدمة
٥	أهمية الدراسة الحالية
٥	أسئلة الدراسة
٦	أهداف الدراسة
٦	حدود الدراسة
٦	منهج البحث
٦	الدراسات السابقة
٩	البيئة التي نشأت فيها عائشة
١٥	ملامح الشخصية الإسلامية
٢٣	تحديات في حياة المرأة
٢٩	الإفادة من إرث بنت الشاطئ
٣٦	النتائج
٣٧	التوصيات
٣٨	ملحق (١) طائفة من عبارات عائشة عبد الرحمن
٤٠	المراجع العربية
٤٥	المراجع الأجنبية

## ملخص البحث:

تهدف الدراسة الراهنة للتعرف إلى الآراء التربوية للمفكرة عائشة بنت عبدالرحمن (بنت الشاطيء) وإسهاماتها في حركة النهضة الفكرية. كما تهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى دور بنت الشاطيء في تربية المرأة، وتكوين الشخصية الفاعلة، وأهمية تفعيل فكرها الإصلاحى حديثا.

ومن دواعى مثل هذه الدراسات أن الفكر التربوى بشقيه؛ القديم والمعاصر يقدمان مادة ثقافية ثرية يمكن الاستفادة منها في دعم وتطوير المسيرة التربوية المعاصرة عموما وإثراء أدبيات الدراسات التربوية النسوية خصوصا. إن أفكار بنت الشاطيء المتناثرة في آلاف الصفحات بحاجة إلى رصد وجمع وتحليل تربوي. تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفى التحليلي الذي يقوم على تحليل كتابات بنت الشاطيء وتتبع مسيرتها العلمية والعملية وصولا إلى تحديد أهم الأفكار التربوية لها .

## Abstract

This study aims to identify the current educational thought of the scholar Aisha bint Abdul Rahman and her contributions to the intellectual and social reformation movement. This study will discuss the role of Aisha in the education of women, and the importance of motivating her educational thought.

The importance of this study is to provide a rich cultural material from the ancient and the modern educational thought. The material can then be utilized in developing the educational process and enriching the literature of contemporary studies of women's education. Also, this study will try to analyze in a descriptive approach and collect Aa'ishah's ideas that are scattered in her works to identify her most significant educational views.

## المقدمة

إن المتأمل لمسيرة الفكر الإنساني في إطاره التاريخي، يدرك أن النظريات الغربية الحديثة في التربية، على أهميتها، ليست الأساس الوحيد للفلسفة المعاصرة فلكل مجتمع إنساني حر موروثاته الحضارية الدالة على خصوصياته التاريخية، وهويته الثقافية. إن دراسة سيرة رواد الفكر ومؤلفاتهم ومناهجهم ذات قيمة تربوية في التأثير في الحياة الواقعية لأنها تحدد ما قد تم تحقيقه فعلا، وما يمكن استكمال مستقبلا. ولهذا تظهر الدراسات التحليلية في ساحة الفكر التربوي قوامها توسيع وتعميق الثقافة العربية كسمة عصرية ضرورية لفهم ما مضى وتلبية لاحتياجات العاجل، وطموحات الآجل من أجل تحسين مستوى الوعي التربوي الكفيل بتطوير الأطر الفلسفية والمزاوالت التنفيذية.

برزت عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطي: ١٩١٣-١٩٩٨م) في مجالات عديدة وميادين متنوعة ساهمت في فتح نوافذ فكرية جديدة لا يخطئها صاحب بصيرة ولكن إلى أي مدى يمكن توظيف تلك الجهود في الحقل التربوي؟ وما القضايا التي شغلت اهتمامها، وما الأفكار التي سعت إلى ترسيخها عبر مسيرتها الأكاديمية والشخصية؟ ما ملامح الوعي الاجتماعي للمرأة من منظور بنت الشاطي؟ مع هذا الوابل الصيب من الأسئلة وفي صيغة الاستفهام يستفتح الباحثان عملهما الراهن لسبر غور فكر شخصية نسائية رائدة وصولا إلى الإفادة التربوية من عقلية مثقفة نيرة نثرت أفكارها في آلاف الصفحات.

إن الدكتورة عائشة عبدالرحمن مفكرة عربية إسلامية لها مكانة ثقافية بارزة في النهضة العربية المعاصرة وساهمت بمقالاتها وكتبها ومحاضراتها في حماية الشباب المسلم من التيارات المنحرفة (الفيل، ١٩٨٧م، ص ٢٥٠) وجمعت بين ثقافتين القديمة والحديثة وتحدثت عن قضايا المجتمع والحرية واللغة والأخلاق. ودعت إلى أن يتلاقى العرب عند نصوص كتابهم المنزل، يلتقون به أدبا وفنا كما التقوا دينا وعميدة (الجندي، ١٩٦٣م، ص ١٤٤، ١٤٥، ١٤٨). عائشة كما يقول محمود الأرنؤوط (٢٠٠١م) "عالمة، أديبة، محققة، أستاذة جيل نادرة المثال"، "وتميزت من بين أقرانها بجمعها النادر بين الدراسة العميقة لعلوم الإسلام، وعلوم العربية"، "وكان تحقيقها للنصوص أنموذجا جيدا في خدمة النص وتذليل ما فيه من غموض وتصحيح ما اعتوره من تصحيف أو تحريف" (ص ٢٢٠، ٢٢١، الشاروني، ١٩٩٦م، ص ٨٥) فهي بحق رائدة نسائية في تحقيق النصوص (حبر، ٢٠٠١، ص ٦٩). تصف الموسوعة العربية العالمية بنت الشاطي بأنها "واحدة من مؤثقات التراث العربي والإسلامي تحقيقًا ودرسا".

"والدكتورة بحكم نشأتها وبيئتها الريفية أديبة مؤرخة دينية، يضاف إلى هذا أنها امرأة فهي تستطيع أن تفهم نفسية المرأة بحكم جنسها" (الجندي، ص ١٤٨، ١٤٩). وتمثل عائشة التيار المتنور الذي يطالب بالنهوض بحال المرأة في الحياة العامة (بركات، ٢٠٠٩م، ص ٢٤٢، نويهض، ٢٠٠٠م، ص ١٠٣٥).

ككاتبة أكاديمية من القامات الأدبية المرموقة، كانت بنت الشاطي وافرة الإنتاج الإبداعي فخلفت تراثا زكيا وفكرا زاخرا إذ يربو عدد كتبها على أربعين كتابا تناثرت فيها الكثير من النظرات التربوية وهي في مجموعها من ركائز المكتبة العربية والإسلامية المعاصرة ولاسيما كتاب *سيدات بيت النبوة* الذي ذاع صيته وشاع فضله. وبذلك فإن بنت الشاطي إحدى النساء المبدعات في طريق التعليم وغدت بكدها وكفاحها منارة من منارات الفكر لتتير الأفق الثقافي على نحو متزايد وبقوة وتفوق استثنائيين. كل تلك المبررات مجتمعة تضع موضوع الآراء التربوية لعائشة في غاية الأهمية علما بأن التحليلات المكثفة والنقاشات المستفيضة تجلي المعاني وتكشف عن جوانب التميز فيها وهو ما يسعى إلى تحقيقه البحث الراهن.

### أهمية الدراسة الحالية

تتمحور أهمية البحث الراهن في النقاط التالية:

- ظل الفكر التربوي العربي عموما والمصري على وجه الخصوص حتى السبعينيات غارقا في الكشف عن آراء أعلام التربية الغربية من دون عناية كبيرة باستقراء آراء المفكرين التربويين العرب والمسلمين مما ساعد في عملية تغريب التعليم (السورطي، ٢٠٠٩م، ص ١٩٧).
- توصي الدراسات التربوية الحديثة بضرورة تناول الفكر التربوي لشخصيات إسلامية معاصرة (محمد، ٢٠٠٩م، ص ٣١٨).
- إن أفكار بنت الشاطي ماثورة في الكتب والمجلات المتفرقة ومن خلال هذه الدراسة وغيرها يمكن تسهيل الوصول إلى تلك الآراء والأفكار التربوية مع تحليلها على ضوء الدراسات التربوية المتخصصة مع بيان أهميتها وتوظيفها عمليا في الساحة التعليمية.
- حاجة الأمة المسلمة إلى دراسات أكاديمية في الفكر التربوي النسوي الأصيل.
- قلة الدراسات التربوية الموسعة عن الشخصية المذكورة.
- عائشة من ثقات مفكري الإسلام في مجال التربية الإسلامية المستنيرة (الصاوي، ١٩٩٥م، ص ٣).
- تقديم نموذج عصري وأصيل للمرأة العربية، والمفكرة الطموحة، والمثقفة المتميزة.

### أسئلة الدراسة

السؤال الرئيس في هذه الدراسة هو:

ما أهم الأفكار التربوية التي وردت في تراث عائشة بنت عبدالرحمن؟ وما أهم المضامين التربوية التي يمكن اشتقاقها من ذلك التراث الضخم؟

إن تناول الدقيق لهذا السؤال يتطلب الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما طبيعة البيئة التي نشأت فيها عائشة وكيف ساهمت في تشكيل شخصيتها؟
٢. ما أبرز ملامح الشخصية الإسلامية من منظور عائشة عبدالرحمن؟
٣. ما أهم التحديات التي واجهت المرأة وما سبل تمكينها مجتمعياً من منظور بنت الشاطيء؟
٤. كيف يمكن الاستفادة من ذلك التراث المجيد الذي خلفته عائشة في دعم المسيرة التربوية المعاصرة؟

## أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الراهنة للتعرف إلى معالم الفكر التربوي عند الأديبة عائشة بنت عبدالرحمن (بنت الشاطيء) ورصد طائفة من إسهاماتها في حركة النهضة الفكرية، وبيان دورها في ترشيد مسيرة تربية المرأة، وذلك في إطار تفعيل فكر بنت الشاطيء الإصلاحية. ولأن الفكر الرائد هو الموجه الفعلي للميدان العملي فإن البحث الحالي سيقدم للمعلمين وصناع القرار مجموعة أفكار تعمق وتوسع ثقافتهم التربوية كما تثرى من جهة أخرى أدبيات المنهج الدراسي بمعالجات منهجية رصينة.

## حدود الدراسة

هذه الدراسة هي دراسة تحليلية وصفية استنباطية تقوم على ثلاث ركائز متعاضدة وهي أولاً: التعرف على جهود عائشة وإسهاماتها في حقل التربية، وثانياً: التركيز على نظرتها في الإصلاح الاجتماعي، وثالثاً: مناقشة سبل الاستفادة من تراثها حديثاً بطرائق تطبيقية. سيتتبع البحث معظم كتب بنت الشاطيء لاقتناص النظرات التربوية ورصد دلالاتها المعاصرة وتحليلها ومناقشتها في ضوء الأدبيات ذات الصلة.

## منهج البحث

هذه الدراسة هي دراسة تحليلية وصفية استنباطية (الحجاجي، ١٩٨٨م، ص ٣٢)، تلتمس العبارات التربوية المنشورة في كتب وسيرة بنت الشاطيء وتربطها أو تقارنها بالأدبيات التربوية تارة، وتحللها وتستنبط منها الفوائد التربوية تارة أخرى.

## الدراسات السابقة

قام الألمي (٢٠٠٦م) بتقديم دراسة تربوية موجزة عن حياة وفكر عائشة عبدالرحمن تحت عنوان التلميذة الخالدة عائشة (بنت الشاطيء) وتوصل الباحث إلى مجموعة من الاستنتاجات منها أن بنت الشاطيء كانت "نموذجاً نادراً وفريداً في الركض الطويل في ميدان المعرفة، والسعي الحثيث نحو تكوين الذات العلمية المتميزة، برغم كل العوائق، وهي لذلك نموذج فريد للمرأة المسلمة التي حررت نفسها بنفسها بالإسلام، فمن طفلة صغيرة تلهو على شاطئ النيل في دمياط شمال دلتا مصر، إلى أستاذ للتفسير والدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة القرويين في المغرب، وأستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها

في جامعة عين شمس بمصر، وأستاذ زائر لجامعات أم درمان ١٩٦٧ م، والخرطوم، والجزائر ١٩٦٨ م، وبيروت ١٩٧٢، وجامعة الإمارات ١٩٨١ م وكلية التربية للبنات في الرياض ١٩٧٥ - ١٩٨٣ م. وتدرجت في المناصب الأكاديمية" (ص، ١١٧، باختصار).

قام حسن جبر (٢٠٠١م) بتقديم دراسة تفصيلية موثقة حول بنت الشاطي. تناولت الدراسة ملامح شخصية د. عائشة وحياتها العلمية ومسيرتها العملية وأهم القضايا الفكرية التي خاضتها وخاصة قضية النهوض بالمرأة العربية. أشار جبر إلى معالم نظرية النهوض بالمرأة العربية حيث قال " لم تتحدث بنت الشاطي عن بناء نظرية للنهوض بالمرأة العربية ولكن الذي نقرأه في بحوثها ودراساتها يتضمن نظرية كاملة ويمكن أن نحدد أركان النظرية فيما يلي:

- "أن المرأة العربية الجديدة تحقق وجودها تحقيقاً مباشراً وأصيلاً دون أن تلتمس منحة من رجالها، أو تلجأ في ممارسة حقها في الوجود الحر إلى الاحتيال والدهاء والمداراة.
- أن تعرف المرأة العربية حقيقة مكانتها في العالم اليوم، وتميز دورها فيه، وتستكمل وعيها لذاتها وأن تفهم مقومات وجودها وجوهر شخصيتها.
- الانطلاق إلى المستقبل دون الانفصال عن الماضي والارتباط بكتاب الله" (ص ١٥٨ - ١٥٩).

قدمت وفاء الغزالي (١٩٩٩م) عرضاً موسعاً لحيات بنت الشاطي ونقلت بدقة حكاية تعلمها ورحلتها الاجتماعية والفكرية وتناولت الأحداث الضخمة في حياتها. ختمت دراستها بما قيل في الثناء على بنت الشاطي. ذكرت وفاء نبوغ عائشة الدراسي المبكر وخاصة عندما تقدمت للامتحان الشفهي لشهادة المعلمات، وعمرها لم يتجاوز السابعة عشرة. كان الأساتذة الممتحنون قد ضاقوا بتعثر الطالبات في تلاوة السور القرآنية والنصوص الشعرية المقررة، فلما جاء دورها تلت مجودة ما اختاروا لها من سورتي ( النساء، والنور)، وسئلت عما تحفظ من النصوص الشعرية، فكان جوابها أن سألت: من أي عصر؟ وعجب الممتحنون لسؤالها، ثم طلبوا منها نصاً من العصر الجاهلي، فأنشدتهم أبياتا من معلقة طرفة بن العبد... قالوا: أسمعينا شيئاً من شعر صدر الإسلام؟ فبادرت وأنشدت لامية كعب بن زهير، ثم مازالوا ينتقلون بها من عصر إلي عصر، وهم في دهشة من حفظها، حتى إذا وصلت إلي العصر الحديث، وسألوها أن تسمعهم، فاجأتهم بسؤالها: من شعري أم من شعر سواي؟ فعجبوا، وقال أحدهم: إن كنت شاعرة فأسمعينا إحدى قصائدك؟ فأنشدتهم قصيدة وفي الختام حببوا لها الدراسة في الجامعة وشجعوها على ذلك (ص ١٧). وأكدت الباحثة على أن عائشة "أحبت الكتابة وعشقت الصحافة" (ص ٤٥، على الجسر، ١٩٨٦م، ص ٦٠). ترى الباحثة أنه يمكن تقسيم حياة عائشة إلى ثلاث مراحل:

١. اهتمامها باللغة العربية وآدابها الحديثة والقديمة.

٢. اهتمامها بقضايا المجتمع.

٣. توجهها نحو القضايا الإسلامية (ص ٥٤).

وتوصلت الدراسة إلى أن عائشة تعتبر رائدة شجاعة من رواد الفكر الإسلامي المستنير في القرن العشرين إذ أثبتت أن العلم الديني ليس مقصوراً على الرجال وفتحت الطريق أمام بنات جيلها ومن بعدهن لإثبات مواهبهن (ص ١٣١).

تناول الرومي (١٩٩٧م) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر وخصص لعائشة نصيباً كبيراً من المتابعة والتحليل والملاحظات المنهجية التي توصل لها الباحث. أكد البحث على بيان قواعد منهج عائشة في التفسير وهي باختصار تتركز في الآتي:

١. العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
٢. استقرار اللفظ القرآني في كل مواضع وروده.
٣. الاهتمام بدلالة السياق.
٤. القرآن هو القاعدة.
٥. ترك الإطناب عما أجه في القرآن الكريم.
٦. رفض التفسير العلمي التجريبي.
٧. التفسير الموضوعي (الرومي، ١٩٩٧، ج ٣، ص ٩٢٦ - ٩٥٠، بيومي، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ٥٨٧).

وتوصل الباحث الرومي إلى أن تفسير عائشة له سماته وأنها لم تلتزم بتطبيق جميع القواعد التي وضعتها في تفسير القرآن الكريم وقدم الباحث ملاحظاته الشخصية في هذا الشأن.

وفي دراسة تربوية تحليلية متميزة لمحمد وجيه الصاوي (١٩٩٥م) بعنوان الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم: دراسة تحليلية لآراء العقاد وعائشة عبدالرحمن من زاوية تربوية ركز الباحث على جانب محدد في فكر عائشة وانصب التركيز على كتاب من كتبها وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها:

- "تشابهت أفكار كلا من العقاد وعائشة، في جوانب كثيرة إلى درجة التطابق، من حيث المدخل والرؤية، والجوانب التي كانت مثار للجدل وخلاف في وجهات الرأي، وفي إشارتهما إلى كتب المفسرين وغيرها.
- كان لتأثير الخلفية العلمية والاهتمامات عند كل من العقاد وعائشة أثر كبير في توجيه النظرة إلى الطبيعة الإنسانية، فكان العقاد يميل إلى التحليل النفسي، وعائشة بعيدة عن هذا الجانب.



● تناول العقاد الإنسان بنظرة فلسفية عامة، ولم يطرح إلا النقاط الجوهرية فيه كمحطات يتوقف عندها ليفسر جوانب الغموض فيها، وكانت نظرة عائشة تحليلية لغوية، وتفسير بياني لمعاني القرآن الكريم، وكانت أكثر تفصيلاً في أمور دقيقة، وتفرعت منها إلى قضايا جانبية أخرى" (ص ١١٥). درس الباحث فكر عائشة عبر التركيز على كتابها مقال في الإنسان.

### البيئة التي نشأت فيها عائشة

عندما تكون حياة شخص ما، وأعمال هذا الشخص محل نظر واعتبار وتحليل، فلا يمكن بحال من الأحوال فصل الإنسان عن الوسط والمواقف والأحداث والأشخاص من حوله، كما لا يمكن إلا أن نعترف بوجود الأثر والتأثير. ليس ثمة وسيلة تقدم لنا معرفة أصيلة بأحداث الماضي أفضل من أن نتعرف عن كتب على شخصيات بارزة في الفكر والفن والثقافة فهي انعكاس حقيقي لمعطيات المجتمع وصحته وتناقضاته. كان العصر الماضي لمصر والدول العربية بداية حقيقية لمعرفة الهوية وتحديد العلاقة بالآخر وتجديد البناء المعرفي بأكمله والتخلص من الأطماع الخارجية (أبوزيد، ٢٠٠٨م، ص ٢٧، ٨٧، ١٥٠، ٢٨٠) وكان عصر حوار فكري وسطوع قيادات فذة في ميدان الإصلاح.

شهد القرن الماضي تغيرات اجتماعية وسياسية وثقافية جوهرية في الساحة العربية كلها، وبدأت بوادرها وإرهاصاتها في أمصار مترامية وكان لمصر حصة الأسد في تحريك الساحة الفكرية في الوطن العربي بعد منعطفات خطيرة. بدأت المرأة حينئذ تتربح فرصة التعلم بل اقتحمت التعليم العالي في وقت وجيز فدخلت أفواج من الفتيات حرم الجامعة، وميادين العمل، والصالونات الفكرية<sup>١</sup> واختترقت المرأة بجدارة عالم الصحافة وعوالم أخرى بعد جهد جهيد وبعد غياب حضاري مزري أضر بوضع الأمة بأسرها بمنظومتها القيمية الصانعة لمجريات التاريخ.

وفي كتابها *أرض المعجزات* ترسم عائشة تحديات ضخمة واجهت الأقطار الإسلامية في القرن العشرين. اعترض علماء الدين في بعض الأقطار الإسلامية على تعليم اللغة الأجنبية والرسم والجغرافيا والمنطق والفلسفة لأنها ذريعة للوقوف على عقائد الكفار وعلومهم الفاسدة، وفي ذلك ما فيه من الخطر على عقائدنا وعلى أخلاق أبنائنا (ص ٤٨ - ٤٩). وكانت بعض الأمصار الإسلامية تتصدى بخوف لكل جديد (السيارات والدراجات واللاسلكي) أو كما تقول عائشة عن اسم الدراجة في نجد: عربة الشيطان أو حصان إبليس. وكانت الدراجة إلى عهد قريب إثماً ومعصية تسير بقوة السحر وعمل الشيطان (ص ٤٣).

<sup>١</sup> انظر: أبو زيد (٢٠٠٩م، ص ٧٤٢).

وباسم الدين أيضا منعت المرأة من الخروج إلى دور العلم وكان هذا الوأد للوعي سببا في تعطيل عقل المرأة المسلمة لتعيش دمية صماء بكماء عمياء البصر والبصيرة. ولكن بفضل الجهود الإصلاحية فُتحت أبواب العلم الموصدة في وجوه البنات فاجتزن المراحل إلى التعليم العالي لتعويض ما فات ووصل ما انقطع من ماضي هذه الأمة "يوم كانت المرأة تشارك في صنع تاريخها مشاركة ذات بال، وتفرض وجودها الفعال المؤثر، على حياة قومها في الجاهلية والإسلام" (ص ٢٢ - ٢٣). ولكن التطور الحضاري أخذ يتفوق على جمود موروث الأوضاع والأعراف. وفي كتابها *على الجسر* تتحدث عن بساطة الحياة في بيئتها وجعلها بوظيفة "الترمس" كجهاز لحفظ حرارة الماء فظنت أنه جهاز مسحور (ص ٧٢)، ولم تكن تعرف كيف تستخدم الأدوات العصرية للمائدة في تناول الطعام (ص ٧٦).

ومن جهة أخرى - وفي عصرها أيضا - كان الافتتان بالغرب قد سلب أبصار البعض فصار من أنصاره وهجر أصالته وتنكر لجذوره لغة ودينا وروحا. وصدق شوقي إذ يقول في وصف من يظن الأصالة رجعية:

لا تَحُدُّ حُدُودَ عَصَابَةٍ مَفْتُونَةٍ      يجدون كل قديمٍ شيءٍ منكرا  
ولو استطاعوا في المجمع أنكروا      من مات من آبائهم أو عمِّرا

تقول عائشة واصفة تناقض الاتجاهات في عصرها "نحن جميعا أبناء جيل أعوزه التعاصر الثقافي والفكري في مرحلة التلقي والتكوين والتأثر: فينا من تلقى زاده الأول من نبع عربي شرقي صميم، حصنه ضد تيارات الفرنجة الوافدة. وفينا من لا زاد له إلا الفكر الأجنبي، وقد أمضى مرحلة الحضانة العقلية والتكوين النفسي في بيئة عزلته عن وجود أمته" (قيم جديدة للأدب العربي، ص ١٦٧).

وتخبرنا تاريخ التربية ونظام التعليم عن جذور الإشكالية السابقة حيث "إن التعليم المدني الذي نشأ في عهد محمد علي والذي كان العمدة الهامة التي انتشرت من خلال عناصر الثقافة الغربية، لم يكن تعليما شعبيا، بل كان للشعب نظام تعليمه الخاص متمثلا في الكتاتيب والأزهر. ومن هنا عملت هذه الثنائية على ازدياد الصراع الثقافي بين الأفكار الجديدة والأفكار التقليدية" (سليمان، ١٨٧٢م، ص ١٨٥).

هناك في دمياط وبعيدا عن الحياة المدنية الصاخبة ولدت عائشة بنت محمد علي عبدالرحمن المعروفة بـ "بنت الشاطئ" عام ١٩١٣م بدلتا مصر. نشأت في بيت أدب يحب العلم والدين فحفظت القرآن الكريم في طفولتها قبل أن تبلغ سن السادسة، وأتقنته حفظا وتجويدا. كذلك حفظت ألفية ابن مالك في النحو وبعض القصائد الصوفية. واجهت عائشة عواقب العادات الضارة التي ترفض أن تواصل البنت تعليمها خارج البيت وقاد والدها العالم الأزهرى معارضة شديدة لمنعها من إكمال الدراسة خارج البيت وكادت محاولاته المستمرة أن تنجح لولا إصرار عائشة الصادق على مواصلة التحصيل.

توجهت عائشة لعالم الصحافة وهي بعد طالبة في الجامعة (الشلقاني، ٢٠٠٩م، ص ٣٩). كانت العادات الضارة وفكرة منع البنات من التعليم عائناً كبيراً، وسداً منيعاً ولهذا اتخذت عائشة اسم "بنت الشاطي" ستاراً لها لتدخل الصحافة وساهمت لاحقاً في مجلة النهضة النسائية التي أسستها لبيبة أحمد وقامت عائشة بإدارتها عام ١٩٣٣م مع استمرارها في الدراسة الجامعية (على الجسر، ١٩٨٦م، ص ٧٩، ٨١).

تروي عائشة عن والدها قوله "ليس لبنات المشايخ العلماء أن يخرجن إلى المدارس الفاسدة المفسدة، وإنما يتعلمن في بيوتهن" (على الجسر، ١٩٨٦م، ص ٣٤). وعليه واجهت عائشة معارضة صارمة كادت أن تمنعها من الوصول إلى قمم المجد ولكن حبها للعلم دفعها إلى فهم صحيح للدين فأوجد عندها الإصرار على مواصلة التحصيل الدراسي، وكسب الخبرات، والتغلب على الصعوبات.

استفادت عائشة من أسرتها التقرب إلى القرآن الكريم والعيش في كنفه فهما وحفظاً وعملاً ولا ريب أنها تعلقت به، وتعمقت فيه حتى أمست من أعلامه المتبحرين في علومه. وإلى جانب ذلك نخلت من روحانيات التصوف الإسلامي ولهج لسانها بجوانبها الجمالية كما أقبلت منذ صغرها على الأدب العربي الأصيل وما يحتويه من شعر ونثر، وما ينبثق منهما من ابتهالات رقيقة وإشارات لطيفة لا سيما في المناسبات الدينية الزاخرة بالعبر والدروس الثرية التي ترمي إلى بناء شخصية الإنسان عقلاً وروحاً وعاطفة. عاشت عائشة في ملعب طفولتها على شط النيل في دمياط، وكان أبوها معلماً بمدرسة دمياط الابتدائية، فتلقت مبادئ القراءة والكتابة على يده، قبل أن تبلغ الخامسة، غير أن دراستها الجادة والمنظمة بدأت في صيف ١٩١٨م وهي في الخامسة من عمرها. فتنظم في الكُتّاب ستة أيام في الأسبوع، من مطلع الشمس إلى غروبها. ألزمها أبوها تعلّم المبادئ الأولية للعلوم العربية والإسلامية، وأخذ يسطحها معه إلى المكتب لتعكف على حفظ دروسها في الأوقات التي يكون مشغولاً بالتدريس لطلابها (الألمعي، ٢٠٠٦م، ص ١١١). تمتاز الكتاتيب في العموم بصغر حجمها وتركيزها على حفظ ما تيسر من القرآن الكريم مع دراسة لبعض الأحكام الدينية (Gesink, 2007, p. 20).

وعن دور الكتاتيب عبر القرون في تكوين ثقافة مشتركة تشد من أزر وحدة الصف المسلم كتبت عائشة "المدرسة القرآنية الإسلامية توحد المنهج والتربية والتعليم فيدرس الطالب المشرقي على ضفاف السند والرافدين ما يدرسه الطالب المغربي على مشارف الأندلس: يبدأ بحفظ القرآن كتاباً أول، قبل أن يتصل بأي كتاب آخر. ويتعلم تجويده على متون مشتركة ثم يتلقى مبادئ علوم العربية والإسلام في

<sup>١</sup> من أشهر الألقاب التي انتشرت في مصر قبل عائشة لقب باحثة البادية للسيدة ملك حفني ناصف (١٣٠٤ - ١٣٣٧ هـ / ١٨٨٦ - ١٩١٨ م) وهي نابغة من نوابغ مصر واشتهرت إلى اليوم بلقب باحثة البادية وسعت بإصلاح أحوال بنات جنسها. وقد عرفت ملك باعتدالها في المسائل النسائية فكانت تذهب في ذلك مذهباً وسطاً بين القلم والحديث (شيخو، بدون تاريخ، باختصار).

كتب موحدة، بعدها يأخذ طريقة حيث تختار مواهبه وتعين ظروفه، فيدرس الطب أو الكيمياء أو الطبيعة أو الجغرافيا أو الرياضيات أو الفلك... بعد أن تزود بثقافته القومية التي لا تختلف في المرحلة الأساسية، في مشرق عنها في مغرب .. ورحلات العلماء تعبر العالم الإسلامي بغير حدود والتبادل الثقافي والفكري والعلمي، يتم على أوسع نطاق " (القرآن وقضايا الإنسان، ص ٢٧٤).

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن البيئة الروحية لعائشة فسنجدها بيئة خصبة. تقع الرؤيا بين أسرة الشيخ محمد علي في موضع التصديق (جبر، ٢٠٠١، ص ٤٠). وعليه فإن للصوفية وميراثها مكانة جلية في نفس عائشة فهي تتحدث عن مشوى التابعين المجاهدين والأولياء الصالحين وأضرحتهم المباركة كترات روعي كما أنها كانت شديدة الفخر بالمدائح النبوية والأناشيد الصوفية، وكانت الرؤيا الصادقة في أسرتها من علامات صفاء البصيرة، وإشراق الوجدان، وكرامات الأولياء وأهل الحقيقة، وعالم المثل، وفلك الأرواح كما ذكرت في كتابها *على الجسر*<sup>١</sup> وفي نفس الكتاب تؤكد عائشة على أن المنهج الاشرافي يفسر الوجود (ص ٩٨). إن فيض المفردات الصوفية السابقة كانت وثيقة الصلة بحياة عائشة على الدوام.

تقول عائشة "إن الكون يفسر تفسيراً عقلياً وتأملياً ووجدانياً، فالعلم يتولى الجانب العقلي، والفلسفة تتولى الجانب التأملي، والأدب والفنون تتولى الجانب الوجداني، وقد استجبت لدراسة الأدب بدافع من مزاجي الخاص الذي أمنيته في بيئتي، وقد عشت طفولتي على الفطرة والفطرة تشحن الإنسان" (جبر، ٢٠٠١، ص ٢٧١).

تولّد التربية الصوفية طاقة روحية تنظم سلوك الإنسان في إطار واقعه الاجتماعي (رضوان، ٢٠٠٨م، ص ٧٨). ويقوم الأساس الفلسفي للاتجاه الصوفي العرفاني على أنه يمكن التوصل للمعرفة عبر الكشف والحدس النفساني (بركات، ٢٠٠٩م، ص ٢٥٩). "يطعن كثير من الباحثين في وجود علاقة بين التصوف والديانات القديمة أو الفلسفة اليونانية، وإن وجدت بعض الأفكار الأفلاطونية فهي تشبه في العوارض والعموميات لا في الخصائص والجوهر" (داود، ٢٠٠٤م). إن أصول التصوف الصحيح مبنية على مصادر أصيلة أولها القرآن والسنة.

إن التصوف الإسلامي أثرى التربية الإسلامية ومن الإجحاف ذمه والتهوين من شأنه بسبب فعل الغلاة من الصوفية ولا شك أن المعارك المذهبية شوّهت مكانة الكثير من المذاهب والأفكار والرواد فاحتل ميزان الإنصاف وسيطر منهج الإجحاف فطمست للأسف كل محاسن الصوفية. إن التصوف الصحيح تربية للوجدان، وتهذيب للأركان، وتركيز للسان وهكذا عاشت عائشة في رحابه والتزمت طريقه واعتبرت الصوفية كطريقة للتفكير وتنظيم السلوك وفهم الوجود.

<sup>١</sup> (١٩٨٦م، ص ٢٢، ٣٢، ٣٩، ٧٣، ٩٠، ١٠٢، ١٢٢، ١٣٩، ١٤١).

وفي كتابها مع المصطفى صلى الله عليه وسلم تكشف بنت الشاطي تعلقها بالقصائد الصوفية منذ صباها فتقول " والمدائح النبوية والأناشيد الصوفية، كانت أول ما لمس وجداني، وأرهف إحساسي، من يوم أن بدأت خطوتي الأولى على درب الحياة" (١٩٩٢م، ص ١١).

كان من النادر أن تواصل البنت في ذلك العصر دراستها بعد المرحلة الابتدائية وكان الوضع التعليمي في شأن المرأة متشابها في معظم الأقطار الإسلامية. ولشدة حرص عائشة على التعلم وبجهد جدها لأنها استطاعت بعد صراع طويل مع أبيها أن تستكمل دراستها. وهكذا وجدت جدها لأنها الشيخ الأزهرى إبراهيم الدمهوجي خير نصير لها في مطالبها العادلة في الاتصال بالتعليم المدني ومواصلة تعليمها العالي.

كان والدها من شيوخ الصوفية وكانت بنت الشاطي شديدة الإعجاب به فكان يربيهما على حب حلقات العلم والذكر وخدمة الدين والثقة بالله والصبر والتضحية وتعظيم المناسبات الدينية وأهمية دور المعلم والمرشد والأب من خلال مواقفه. ولقد قامت بتدوين طرف من ذلك إذ رسخ في وعيها (بنت الشاطي، ٢٠٠٢م، ص ٥٤١). كانت ترى ابن العربي بأنه "الصوفي العليم"، والشهروردي بأنه "شيخ الوقت القطب الزاهد" (١٩٨٦م، ص ٢٩٠). وكانت تردد قول الصوفية "إن لله عبادا، إذا أرادوا أراداً".<sup>١</sup>

أهدت كتابها مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح لأحب الناس لقلبها وفكرها وأولهم والدها فكتبت "إلى من أعزني الله تعالى به أبا تقياً زكياً ومعلماً مرشداً ورائداً ملهماً وإماماً مهيباً قدوة: والذي العارف بالله العالم العامل: "الشيخ محمد علي عبدالرحمن الحسيني" (ص ٣).

وإذا كانت عائشة شديدة التأثر بالفكر الصوفي فإنها عاشت شغوفة بتزكية نفسها في رحلة حياتها من البداية للنهاية متجهة نحو الصفاء النفسي، والإشراق العقلي. يقول محمد سليم العوا "وأشهد، عن قرب منها يزيد على ثلاثين عاماً، أنها كانت من كبار الصوفيات الزاهدات في الدنيا كلها، مالا وجاها ومظهداً ومطعماً وملبساً" (٢٠٠٤م ص ٣٦٠ - ٣٦١).

ومع زوجها المفكر الأديب المجدد المفسر: أمين الخولي (الميلاد، ٢٠٠٩م، سالم، ٢٠٠٩م) وجدت عائشة ضالتها، وأكملت تحصيلها، واكتسبت منه منهجاً جديداً في التفكير والبحث والتأليف أساسه التثبت والتأني والتجديد. كانت حياتهما رحلة حافلة عامرة بالنشاط العلمي والحوار الفكري.

لقد تعرفت إلى زوجها في الجامعة ومن حينئذ لم تفارقه وتعلمت علي يده وكانت شديدة الإعجاب بأدبه ورجاحة عقله. ومن شدة إعجابها به جعلته يكتب مقدمة جعلتها في صدر كتابها السيدة سكينة بنت الإمام الحسين رضي الله عنها (بنت الشاطي، ٢٠٠٢م، ص ٦٥٤). "قد لا تعرف

<sup>١</sup> (وفاء الغزالي، ١٩٩٩م، عبد الرحمن، ١٩٨٦م، على الجسر، ص ١٣٤، ص ١٤٦، ١٩٩٥، مقال في الإنسان، ص ١٠٣).

أجيال جديدة - وهذا مؤسف بل ومخجل؟- من هو الشيخ الخولي [١٣١٣ - ١٣٨٥ هـ = ١٨٩٥ - ١٩٦٦ م] وهو الذي عاش متربعا على قمة الهرم الفكري في مصر ووطن العروبة وعالم الإسلام بأكثر من خمسين عام" (عمارة، ٢٠٠٨ م، ص ٢٢٣).

أعجبت عائشة بالخولي المناضل وهو يدافع عن العروبة والحرية وعمله المخلص ضد هيمنة مؤسسات الثقافة الأجنبية على حصوننا العلمية وخاصة الجامعية (١٩٨٦ م، ص ١٧٥). وفي مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح نجد عائشة تتذكر وصية زوجها في كيفية التعامل مع النصوص التراثية (ص ١٣٦) مما يدل على عظيم سلطان فكر الخولي في تكوين بعض جوانب شخصيتها العلمية من دون التقليل من شأن ذاتية عائشة الخلاقة وروحها المثابرة وفكرها المبدع ومنهجها الذي هو مزيج من نهج العرفان، والامتداد النقدي القائم على الحس والبرهان.

حصلت على شهادة الكفاءة للمعلمات عام ١٩٢٩ م وكانت الأولى على مستوى الدولة، ثم حصلت على الليسانس في اللغة العربية عام ١٩٣٩ م، وواصلت دراستها العليا فحصلت على الماجستير في العام ١٩٤١ م، وشهادة الدكتوراه في العام ١٩٥٠ م وكان طه حسين - عميد الأدب العربي - من ضمن أعضاء لجنة المناقشة. كانت بنت الشاطىء الطالبة النجبية كثيرة الثناء على أستاذها طه حسين وتشير إليه في أبحاثها (٢٠٠٢ م، ص ٧٩٢، بنت الشاطىء، ١٩٩٩ م، الغفران دراسة نقدية، ص ٣٣٢، ٢٢٩) وتسميه "أستاذنا العميد". ولا شك أنها تأثرت به تأثرا كبيرا خاصة وأن طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣ م) له منهجه في النقد الأدبي (جرادات، ٢٠٠٩ م، ص ٢٢١) علما بأنها اختطت لنفسها اتجاهها مستقلا في المنهج والمحتوى.

وإذا كان بعض التربويين تناولوا كتابات طه حسين بالنقد الشديد (محبوب، ١٩٨٧ م، ص ٢١٣) فإن طه واحد من أهم المفكرين العرب في القرن العشرين (بركات، ٢٠٠٩ م، ص ٢٦٤)، فقد أرسى قواعد ديمقراطية التعليم ومجانيته (متولي، ٢٠٠٠ م، ص ٧١١).

كان طه حسين "لا يروقه ما تكتبه تلميذته الدكتورة بنت الشاطىء في صحيفة الأهرام وبخاصة ما تكتبه عن القرآن الكريم وتفسير بعض آياته، وقد كان يرى أنها تلف وتدور حول النص القرآني، ولا هم لها غير إيراد الآيات الكثيرة ثم لا تقدم شيئا ذا بال بعد ذلك" (الدسوقي، ٢٠٠٢ م، ص ٣٣).

وإذا انتقلنا من الشخصيات الهامة في حياة عائشة إلى البيئة الثقافية المحيطة بها نجد الأجواء الثقافية متناقضة فعندما دخلت الجامعة في منتصف الثلاثينات من القرن الماضي كانت القاهرة يومها تموج بتيارات مختلفة وحركة المثقفين في أوج نشاطها وكانت عائشة متجاوبة مع ذلك متأثرة بها (وفاء الغزالي، ١٩٩٩ م، ص ٢٧) وترصد الصراع الهائل بين أنصار الجديد وأتباع القديم.

وتقول بنت الشاطىء عن تجربتها التعليمية "لم يحدث قط أن فتنت عن قديمي بالجديد الذي تعلمته من كتب العلوم العصرية لمراحل الطريق إلى الجامعة، بل كنت كلما تقدمت خطوة على الطريق ازدادت

إدراكاً لقيمة الرصيد الثمين الذي يمنحني سمة أصالة وتفرد بين بنات جيلي " (على الجسر، ١٩٨٦م، ص ٨٩، ٩٠). وفي ذلك دليل عملي على أن قوة التأسيس وفق تعاليم التربية الدينية ضمان لسلامة المسيرة المستقبلية في الحياة المدنية ورحلة الحياة عموماً.

نظرت بنت الشاطي ببصيرتها إلى الحياة الريفية وطالبت بحقوق الفلاحين وضرورة توفير حاجاتهم وذلك منذ الثلاثينات منذ القرن الماضي عبر مقالاتها المؤثرة وقلمها المقتدر ثم انتقلت إلى دراسات الشخصيات النسائية (Badran, p. 119, 150, 279) كما تخصصت في كتابة القصص القصيرة وبرزت كرمز من رموز الأدب ثم تحولت إلى الكتابات الدينية ( Talhami, 1996, p. 27). وتعد كتاباتها من المراجع القيمة في تفسير القرآن الكريم (Wadud, 1999, 110).

ولقد مارست عائشة التدريس والتأليف وسافرت للعمل في العديد من الجامعات الإسلامية. وكان أن حصدت عدة جوائز رفيعة وأوسمة عالية فحصلت على جائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام، وجائزة الدولة التقديرية من مصر، وجائزة التقدم العلمي من الكويت، كما حصلت على وسام رفيع من المغرب وكانت شغوفة بالمغرب تكن عظيم التقدير لأهلها وكانوا أنصاراً لها أوفياء لعطائها في حياتها وبعد وفاتها.

### ملامح الشخصية الإسلامية

اعتبرت عائشة موضوع الشخصية الإسلامية موضوعاً مستقلاً فكتبت كتاباً خاصة لهذا الأمر الجليل لتجلية مسأله وتحديد وسائله. تقول في ذلك الكتاب "ومع التسليم بأن كل إنسان عالم وحده، فليس أحدنا كأخيه الشقيق، إلا أن هذا التمييز ليس بحيث يطمس ملامح شخصية عامة تنميه إلى قومه وأمتة" (ص ١٤).

وعلى ضوء معطيات الكتاب السابق يمكن استخلاص الخطوط العريضة للشخصية الإسلامية من منظور عائشة ويمكن عرضها في سبعة ملامح أساسية وهي كما يلي:

١. الانتماء للإسلام ورسوخ الإيمان.
٢. إدراك بشرية الفرد (يخطئ ويصيب)، وليس من الملائكة.
٣. الموازنة بين المادية والروحية.
٤. الموازنة بين العبادة والعمل.
٥. الموازنة بين الدين والعقل.
٦. الموازنة بين المحافظة والتجديد.
٧. تحقيق الذاتية الإسلامية والموازنة بين الفردية والجماعية.

وعليه فالتربية تتحرك في دائرتين حيث تعمل الدائرة الأولى على الإبقاء على الخصوصية الفردية في حين تقوم الدائرة الثانية بتحديد القواسم المشتركة فالخصوصية الفردية لا تتنافى مع أصالة المجتمع. تقول عائشة "يروض الإسلام بشريتنا على احتمال المسؤولية العامة ويرتقي بالإنسان إلى حيث لا يكتفي بالواجب الفردي وأداء العبادات بل يعد دع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين تكذيباً بالدين. وبذلك يحث الإسلام الإنسانية في التزام تبعة وجودها واحتمال أمانة الحق العام في التكافل والتراحم، والدعوة إلى الخير والتواصي بالحق والمرحمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (التفسير البياني للقرآن الكريم، ج ٢، ص ١٩٢، بتصرف).

وفي كتابها الشخصية الإسلامية تقرر عائشة بجلاء أنها لا تتحرج، "بعد طول عكوف على الدراسات القرآنية، من القول بأن الإسلام في أصول العقيدة وفروض العبادات وأحكام المعاملات وكل التوجيهات لسلوك الإنسان، إنما ينظر إليه من حيث هو اجتماعي بطبعه". "وقد يجمل القول في الذاتية الإنسانية للشخصية الإسلامية أن كل عمل ينفع الناس، بعامة، يتقبله الله ويركبه وبيقيه، وأي عمل يضر الناس زيد يذهب جفاء. وكل كلمة يباركها الله أو يحققها بمقدار ما تؤتي من خير أو شر" (ص ١٨٤، ٢١٠). "الإسلام سهل لأنه دين الفطرة لكن تكاليف الإيمان في العقيدة الإسلامية شاقة. وأشق ما فيها أنه يحمل الإنسان أمانته الصعبة" (ص ٣٨). "ولا مجال لإنكار اهتمام الإسلام بالفرد وعنايته البالغة بتهديب ضميره وخلقه وتوجيه سلوكه" (ص ١٨٣).

ولبنت الشاطي نظرات صائبة لا سيما في فهم القرآن الكريم (علي، ٢٠٠٠م، ص ٢٣٠، ٢٨٣)، ومن ذلك النظرة الواقعية في فهم سيكولوجية الإنسان وأثر التجارب والخبرات في تنمية الشخصية. تقول عائشة في كتابها مقال في الإنسان "ومجال التوبة مفتوح أمام الإنسان الذي يتعثر ويخطئ فتصهره التجربة ويهتدي بالخطأ إلى طريق الحق" (ص ٥٩). وتذهب إلى أن العلم وحده لا يغني عن التجربة والخبرة في الحياة وإلا فإن الإنسان لا يتحرر من أوهام العاطفة وأغلال الأعراف (١٩٩١)، صور من حياتهم في جيل الطليعة، ص ٣٣). والتربية العربية اليوم في حاجة جوهرية لتزويد العملية التعليمية بالخبرات النافعة فالتربية ليست نقل معلومات كما نرى في كثير مؤسساتنا على امتداد عالمنا العربي الذي يعاني من ضعف مخرجاته التعليمية وهشاشة الأنشطة.

إن المتأمل في شخصية عائشة - كسيرة ومسيرة ذاتية - يجد أنها سخرت حياتها وكتاباتها لدراسة سيدات بيت النبوة، ونوابغ الفكر والتراث وشخصية الفلاح المنتج مما أتاح لها قدرة هائلة على تحديد معالم الشخصية العربية المسلمة التي تتوافر فيها مقومات حمل الرسالة الدينية وسبل الارتقاء لأداء دورها الحضاري المنشود.

ثمة أخلاقيات إنسانية كثيرة ذات أهمية حياتية بالغة يمكن استنباطها من كتابات ومعالجات عائشة وتصلح لتشكيل شخصية مسلمة ذات رؤية واضحة، ووجهة حميدة، وأعمال مفيدة. آمنت عائشة



بقيمة العلم فلا تكتمل الشخصية إلا بالعلم، ونور العلم يمنح الإنسان الضياء. ولقد قدمت عصارة عمرها لإعلاء راية العلم فضحت من أجله وانتهزت كل مناسبة لتقرير أهمية العلم للجنسين معا في زمن حرمت فيه المرأة من ضياء العلم. إنها ترى أن "الكفر بالعلم أو بالدين، انتحار" (مقال في الإنسان، ص ١٦٨). وفي نفس الكتاب تكشف أيضا عن عظمة العلم وتناغمه مع الدين فتقول "ما من صدام حقيقي يمكن أن يقوم بين جوهر الدين في دعوته إلى الحق والخير، وبين جوهر العلم في سعيه الدائب لإسعاد البشر" (١٦٩).

وعائشة مثل العقاد تعتبر العلم فريضة محكمة. وفي كتابها *أرض المعجزات: رحلة في جزيرة العرب* قالت عائشة "وما ارتاب علماء الإسلام في أن العلم في عقيدتهم فريضة وعبادة وجهاد، وهم ينظرون في الظواهر الكونية بعقلية جديدة متحررة، لاجتلاء عجيب السنن الكونية المحكمة، وبمارسون التجارب العلمية العملية، لتحقيق آية الله فيما سخر للإنسان". وتقول مدعمة لما سبق "قد أقسم الله في القرآن بالقلم وكانت آية الوحي الأولى، آية القرآن والعلم والقلم... وبلغ من حرص نبي الإسلام على نشر القراءة والكتابة، أن جعل فداء الأسرى ممن يقرؤون ويكتبون، تعليم عدد من المسلمين الكتابة والقراءة. وكان له صلى الله عليه وسلم، بضعة وعشرون رجلا مختصون بكتابة الوحي" (قيم جديدة للأدب العربي، ص ٧٢).

أعلنت بنت الشاطئ من شأن العلم وأعطته مكانة جلييلة في هذا الوجود فقالت وهي تُظهر جوانب القوة في أبي العلاء "من عهد صباه الغرض، ظن أبو العلاء أنه اهتدى إلى سلاحه في معركة الوجود، وعرف طريقه على الدرب: مواهبه تعوضه عن عجزه، ونور العلم يمنحه الضياء. وفي اعتداد وإصرار، صمم على أن يتحدى محنته ويشق سبيله لا يعوقه فقد البصر. وبلغ المدى في مكابرتة فرئي في صباه يلعب النرد والشطرنج ويأخذ في فنون الجد واللهو كما يفعل لداته المبصرون" (بنت الشاطئ، ١٩٩٩م، *الغفران دراسة نقدية*، ص ٣١).

والإرادة قرينة العلم لهذا أكدت عائشة في كتابها *مقال في الإنسان* على حرية الإرادة فهي من أهم سمات شخصية الإنسان ولولاها لما استطاع حمل الأمانة. عقدت عائشة فصلا لحرية الإرادة وارتكزت في افتتاحيته على الآيات التالية من سورة النجم: "وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجُزَاءُ الْأَوْفَى" (الآيات من ٣٩-٤١). تقول عائشة في استهلال الفصل المذكور: "حرية الإرادة ليست في الواقع إلا عنصرا جوهريا من كل لا يتجزأ، هو الحرية الكاملة للإنسان بمقتضى اضطراره بحمل الأمانة. وإذا كان شرط التكليف الاختيار فكيف نتصور أن يحتمل الإنسان الرشيد تبعه التكليف إذا فقد الاختيار الذي هو شرطه" (ص ١٠١، باختصار).

وتحدد عائشة بجلاء مفهوم الإرادة، فتقول "إنها لا تعني مجرد الرغبة والميل، ولا هي تقف [عند] التفكير والاتجاه إلى عمل ما، إنما تكون الإرادة حين تنتقل النية إلى عمل، ويستقر العزم عليه في تصميم

مهما تكن العوائق والموانع" (ص ١٠٦). والقرآن الكريم بيانه المعجز لا يعرف الإرادة إلا عملاً وفعلاً، فليست عنده من المجردات الذهنية التي تختص بها الأسماء، ولا هي من الصفات فكأن العبرة في الإرادة بالفعل، لا بالتصور، أو الوصف، أو الادعاء، كما ترى عائشة في نظراتها القرآنية الثابتة (ص ١٠٨). يلخص سعيد إسماعيل علي رؤية عائشة في الإرادة وذلك في كتابه *النزعة العقلية في الفكر التربوي الإسلامي* فيذكر أن جوهر الإرادة عند عائشة مشيئة واختيار (ص ١٠٨). يستحيل للعمل التربوي أن يؤتي أكله إذا لم يقم على إيمان راسخ بجرية إرادة الإنسان فهذه القضية من أسس الأصول الفلسفية للإصلاح التربوي اليوم، والتربية كلها عملية تنفيذية لمجموعة من الأفكار والتصورات الفلسفية (علي، ٢٠٠٩م، ص ٦٣٤).

الإرادة هي المحرك إلى العمل لهذا فإن "التربية الإرادية" (الحجاجي، ١٩٨٨م، ص ٣٤٥) شأنها عظيم في التعليم. قال ابن القيم "فصل في العلم والإرادة ومكانتهما من السعادة: والمقصود أن الله سبحانه وتعالى لما اقتضت حكمته ورحمته إخراج آدم وذريته من الجنة أعاضهم أفضل منها وهو ما أعطاهم من عهده الذي جعله سبباً موصلاً لهم إليه من تمسك به فاز ومن أعرض عنه شقي. ولما كان هذا العهد الكريم والصراط المستقيم لا يوصل إليه أبداً إلا من باب العلم والإرادة فالإرادة باب الوصول إليه، والعلم مفتاح ذلك الباب المتوقف فتحه عليه. وكمال كل إنسان إنما يتم بهذين النوعين: ١- همة ترقيه. ٢- وعلم يبصره ويهديه. إن مراتب السعادة والفلاح إنما تفوت العبد من هاتين الجهتين أو من إحداهما: إما أن لا يكون له علم بما فلا يتحرك في طلبها، أو يكون عالماً بما ولا تنهض همته إليها" (بتصرف).

تذهب عائشة إلى أن الإرادة الإنسانية مرتبطة بالعلم والعمل وكلها ضد العقلية الغيبية المعطلة للأسباب ومن المؤسف أن التواكل لصق بالشخصية الإسلامية فجعلها ضعيفة مهزوزة (الشخصية الإسلامية، ص ١٢٣). ومن الصور المشوهة للدين إهمال الحياة وعدم التمتع بمباهجها. قالت عائشة وهي تشرح واقعية الإسلام: "وليس صحيحاً ما يغلب على الظن من أن العناية بالمظهر لباساً وزينة، يجافي شخصية المسلم. وما يجافها إلا الترف والسرف، والتبرج والخيلاء. فإذا اتقاه المؤمن، فلا حرج عليه في أن يعنى بمظهره ويأخذ زينته تجملاً وتهذيباً، لا عن شهرة وخيلاء" (الشخصية الإسلامية، ص ٧٥، باختصار). وهكذا تدعو عائشة للتجمل لا التبرج. وإذا كان ٨٠% مما كُتب في الصحوة الدينية عن المرأة، كان محصوراً في قضية الحجاب و ٢٠% في الحديث عن رسالتها في الحياة كما يقول عبد الكريم بكار فإن عائشة لم تقع في هذا الخلط واكتفت بإعلاء شأن الستر والعفاف دون الخوض في الجزئيات المتعلقة بلباس المرأة فلم تهتم بالمرأة كجسد على حساب رسالتها كما فعل الكثيرون بل اهتمت بها كرسالة وفكر وحرية وعطاء وحق في الاختيار وتحمل المسؤولية وبناء الأسرة والمجتمع.

درست عائشة أعلام الفكر العربي من الجنسين في التراث وقدمت في هذه الدائرة دراسات منهجية موسعة وفيها إشارات للخلال الحميدة في الشخصية التي تتناولها وتطل من خلالها على ملامح السلوك الإنساني المعتدل من غير جامح خيال. أبو العلاء المعري من الشخصيات التي تناولتها عائشة بأعمال مكثفة منذ بداية مشوارها البحثي. وجدت أن من أهم ملامح شخصية والد المعري -الذي كان معلمه الأول- رقة القلب وحرارة العاطفة ونقاء الضمير واليد واللسان (عبدالرحمن، ١٩٩٨م، ص ٤٣). تتمتع الشخصية السوية بقوة الإرادة وعلو الهمة. أقسم أبو العلاء المعري -كما تقول عائشة- بأنه لا يغادر موضعاً سامياً للفكر إلا إلى ما هو أسمى فيقول:

لعمرك ما غادرتُ مَطْلَعِ هَضْبَةٍ  
من الفكر إلا وارتقيتُ هضابا

وتستشهد بالمزيد من الأبيات لأبي العلاء في الحديث عن الإنسان الطامح من مثل قوله:

لِي الشَّرْفُ الَّذِي يَطَأُ الثَّرِيًّا،  
مَعَ الفَضْلِ الَّذِي بِهِرَ العِبَادَا

ثم قوله:

أَفَلَّ نَوَائِبِ الأَيَّامِ، وَخُدِي،  
إِذَا جَمَعَتْ كَنَائِبَهَا اخْتِشَادَا

وقوله في التواضع:

تَوَاضَعُ، إِذَا مَا زُرِقْتَ العَلَاءُ،  
فَذَلِكَ مِمَّا يَرِيدُ الشَّرْفُ

وقوله:

خَابَ الَّذِي سَارَ عَن دُنْيَاهُ مُرْتَحَلًا،  
وَلَيْسَ فِي كَفِّهِ مَن دِينِهِ طَرَفُ

وبإعجاب شديد تمدح الصدع بالحق (عبدالرحمن، ١٩٩٨م، ص ٢٥١) وحفظ أمانة الكلمة والجهاد في القيام بحقها فتذكر قول الشاعر:

فَمَا لِي لَا أَقُولُ، وَلِي لِسَانٌ،  
وَقَدْ نَطَقَ الزَّمَانُ بِلَا لِسَانِ

نادت عائشة بالحرية الفكرية "والضمير العلمي" ووسعت من نطاق السلوك الشخصي، ومدحت بنت الشاطي في أبي العلاء نقاء العقيدة، ورسوخ الإيمان، وصحة الدين، وقوة اليقين، (عبدالرحمن، ١٩٩٨م، ص ٢٦٥). وهذه التطبيقات العملية من الملامح العريضة للشخصية الإسلامية في حس ووعي عائشة.

عكس أستاذا طه حسين ترى بنت الشاطىء في شعر ونشر أبي العلاء المعري نجوى عابد تقى، وتسايح مؤمن نقى، وعظمت حكيم رائد، ومواجد صوفى هائم! ولم ينج مع ذلك من أثر الافتراء ومطاردة الظلم (١٩٩٨م، ص ٢٩٤). من الواضح أن تربية بنت الشاطىء في طفولتها استمرت معها في تقدير التذوق الروحي وانعكست على رؤيتها وتحليلاتها وعباراتها الدقيقة وألفاظها الفيضة التي تنضح بالإشراق الصوفى أو تحاكبه. إن زهد المعري زهد اختبار لا إجبار فهو الذي هجر الملذات بمحض إرادته لا كما يعتقد بعض الأدباء. انتقدت بنت الشاطىء تشويه صورة أبي العلاء المعري في المناهج الدراسية وكتمان روائعه عن الطلاب (١٩٩٨م، ص ٣٠٧). قال أبو العلاء:

لا تظلموا الموتى، وإن طال المدى؛ إني أخاف عليكم أن تلتقوا

لاحظت عائشة أنه "قل من أحرار الفكر والكلمة من لم يُتهم في عقيدته" (عبدالرحمن، ١٩٩٩م، الغفران دراسة نقدية، ص ٣٩).

أشارت بنت الشاطىء إلى نوع من أنواع القيادة الفكرية أو التلمذة الفكرية التي يخضع فيها القارئ لسلطان أستاذه في مجال من المجالات. لاحظت أن المتنبى أستاذ المعري من نوع خاص؛ أستاذ لم يلتق به أبو العلاء ولكنه تتلمذ على يده تلمذة علمية وأدبية (محمد، ٢٠٠٥م).

ومع أبي العلاء تتبع عائشة أخلاقيات إكرام الأم فهي موضع التكرم والولاء لما بذلته من حنان وأسدته من جميل (عبدالرحمن، ١٩٧٢م، ص ٢٨) وتستشهد بأبيات أبي العلاء ومنها:

العيشُ ماضٍ، فأكرمِ والدَيْكَ بهِ، والأُمُّ أُولَى بِإِكْرَامِ وإِحْسَانِ  
وحسبُها الحملُ والإرضاعُ تُدْمِنُهُ، أمرانِ بالفَضْلِ نالَا كلَّ إنسانِ

تتبع بنت الشاطىء أعلام السيدات في الإسلام وكانت حريصة جدا على تجلية مشاعر وهموم الأمومة. تقول بنت الشاطىء (٢٠٠٢م) أن السيدة هاجر "دخلت التاريخ الديني بهموم أمومتها، وصار مسعاها بين الصفا والمروة شعيرة من شعائر الحج والعمرة في ديننا الحنيف وعيدا للأمومة، بموسم الحج من كل عام". ومن أقوالها "ما من أنثى تحمل، إلا حلمت لوليدها بأقصى ما تسمح به بيئتها وظروفها" (ص ٣٨، ١٠٤).

والبر بالوالدين مرتبة عظيمة لا ينالها إلا أصحاب الشخصيات النبيلة. ودور التربية أن تعيد قيم الأمومة وما فيها من ود صادق وجود دافق ولا ريب أن الحركات النسائية مسئولة عن نشر هذه القيم. تقول بنت الشاطىء "وها أنذا أعلن بملء إيماني، أن هذا الشرق لن يستقيم له حال ما لم يسم بالأمومة إلى أعز مقام، ويهيئ أثنائه لكي تصنع له الحياة! لن يتاح له أن يحمي كيانه، ما لم يجر فتاته من أغلال الجهل ومذلة النبذ، ويصنعها على عينيه: فتاة جديدة بوعيتها وعزتها واستنارتها لا بزيتها ومظهرها

وجموحها، تميز الخيط الدقيق بين التحرر والتحليل، وتعزز بتقاليد قومها وقدم ميراثها من الكرامة والتصون، وتنفر من كل ما يمسح فطرتها ويعطل سحر أصالتها. لن يستطيع أن يظفر بما يرنو إليه من وجود كريم في عالم اليوم، ما لم يبدأ خطواته الأولى بإيجاد الأم الصالحة، الشاعرة بذاتها، المقدرة لخطر مهمتها، المدركة لجلال رسالتها العظمى التي من أجلها وضعت اللجنة تحت أقدامها!". (ص ٣٨٧).

هكذا وضعت عائشة معالم أساسية وربطت مستقبل الأمة بشخصية الأم مربية الأجيال.

وامتدادا لتجليات الشخصية في الميادين الدينية وارتباطها بالإيمان الراسخ، حذرت بنت الشاطئ من المذاهب الهدامة وكتبت كتابا رائدا مفصلا في تفنيد البهائية<sup>١</sup> التي تزعم زورا وبهتاناً أنها حركة إسلامية. وفي معرض دفاعها عن الشخصية المسلمة بينت المؤلفة أن الإسلام راسخ في ضمير كل مسلم مهما يبلغ جهله أو تفریطه في تكاليفها .. والقرآن يتلى فينا صباح مساء، متفردا بالجلالة والحرمة، وبالسلطان والنفوذ على أبناء هذه الأمة (١٩٨٦م، ص ٣٥٤).

تعلي عائشة من شأن الحب في الشخصية الإنسانية بل يصل بها الأمر إلى غرس قناعة قد تكون نابعة من تجاربها الشخصية حيث ترى أن الحب أساس الزواج فالزواج من الطبيعي أن يسبقه حب (العميم، ١٩٩٩م، ص ٢٦٣). ولكن كيف نميز بين الحب الصادق وبين الإعجاب المؤقت الطارئ؟ وهل الحب إلا بذرة تنميها أمطار الزواج؟ يقول زجي زجلار أن الحب ليس أساس الزواج، بل الزواج أساس الحب (ziglar, 2002, p. 18, 64).

وفي كتابها الشخصية الإسلامية وعلى أساس النظر في خلقية العالم ورسوخه في العلم تذكر عائشة قول الإمام مالك: لا يُؤخَذُ العلمُ من أربعة: سفیهٍ معلَنٍ بالسفهِ، وصاحبِ هوى، ورجلٍ يكذبُ في أحاديث الناس، ورجل له فضل وتعقّف وصلاح لا يعرف ما يحدث (ص ٢١٨). وتؤكد على الأخلاق فتذكرنا بتواضع العلماء مع الناس "ويرون في أصغر تلاميذهم زملاء لهم، في طلب العلم، ويخلطونهم بأنفسهم وأهلهم، فهم أبناء وأصدقاء. وتظل صفة الصحبة لأجيال التلاميذ بعد رحيل الأئمة، فيقال: أصحاب الشافعي، وأصحاب مالك" (ص ٢٢٢). "فليس الأمر في شيء من هذه القيم والمبادئ والشمائل، أن نرددها قولا بغير فعل: "كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" (الصف: ٣). ولا في أن نسمعها ونلقنها غافلين عن مغزاها... إنما هي سجية في المؤمن توجه سلوكه في نفسه ونحو خالقه والإنسانية وتسيطر عليه تلقائيا لرسوخها في عقيدته وشخصيته، لا يملك أن يجيد عنها. وهذا هو وجه المسؤولية فيما يرى الناس فينا من مثال للشخصية الإسلامية. وبقدر ما تتجلى فيها قيم العقيدة الإسلامية أو تتجافها، يأخذ كل فرد منا صفة القدوة. هذه هي الشخصية الإسلامية لحضارة رائدة قادرة على الانسجام مع النظرة الطبيعية للكون والحياة" (ص ٢٢٩، بتصرف). إن سبب ضعف

<sup>١</sup> ظهرت البهائية عام ١٢٧٩هـ-١٨٦٣م ومؤسسها حسين المازندراني وتقوم دعوة البهائية على أنها جاءت لنسخ الإسلام (انظر السحمراني، ٢٠٠٧م، ص ١٤٦).

الشخصية عند عائشة الجهل بالفكر الإسلامي والانحراف عن أصيل مبادئه والعزوف عن نقى نبعه؛ وما تعرضت له شخصيتنا من ذرائع وتشويه (ص ٢٣٠).

يحتوي كتاب مقدمة ابن صلاح بتحقيق عائشة على أنواع سماع الحديث النبوي وتحمله وبيان التعلم والتعليم وهي مسائل لا تزال موضع اهتمام التربويين فهي تناقش عمليات الإدراك. وتتضمن أيضا القيم التي تحكم سلوك المعلم وسلوك طالب العلم والتي تنظم العلاقة بينهما وهي ذات قيمة كبرى لو كانت هذه القيم تدرس في معاهدنا وكتلياتنا (جبر، ٢٠٠١، ص ١٢٣).

ترى عائشة في كتابها قيم جديدة للأدب العربي أن التاريخ الإسلامي في عصر الترددي كان يعاني من تصدع الوضع الاجتماعي بالترفة العنصرية والعصبية المذهبية والتمايز الطبقي تحت الحكم الفردي المطلق الذي نشأ عنه انحراف خطير غلب على وجدان وضمائر وألسنة الأدباء والمثقفين فانساقوا نحو النفاق والتزييف الوجداني والمبالغات المسرفة وفتحت لهم أبواب القصور. والذين عصمتهم قوة ضمائرهم من الانسياق وراء التيار الجامح هبطت أسهمهم في سوق القوم فضاع منهم من ضاع في الغمار (ص ١٢١). وهكذا فإن ضعف الشخصية وغلبة المصالح الضيقة والأنانية قلبت أحوال الأدب، وعكرت صفو الفكر، ولوثت الثقافة العربية. إن بناء شخصية سوية أفضل وسيلة للنهوض بوعي المجتمع وواقعه وميراثه والمضي به نحو العزة والعلم والقوة.

وإذا التفننا نحو صقل شخصية الفتيات فنحن مازلنا بحاجة إلى المساهمة في تكوين الفتاة المسلمة الواعية المثقفة التي تدرك الحياة إدراكا سليما (عبدالحى، ٢٠٠٦م، ص ٢٩٤)، وفيما يلي مجموعة مختصرة من منطلقات تربوية من شأنها صقل شخصية الفتيات والتي يمكن استنباطها من سيرة ومسيرة بنت الشاطئ:

- ١ تعظيم دور البيت فالمرأة المتفرغة للأمومة تقوم بعمل عظيم لا يجوز التقليل من شأنه أبداً.
- ٢ تشجيع المرأة للمساهمة في خدمة العلم والمجتمع دون الإخلال بالوظائف الأسرية.
- ٣ التحديات التي تواجه المرأة كبيرة ولكن الأمل أكبر. من التربية نبدأ لتصحيح المسار وزيادة الوعي وتوسيع الممارسة الصحيحة فالتربية السليمة هي الأمل لأنها ضمان للحاضر وأمان للمستقبل.
- ٤ المطالبة بحسن تثقيف البنات وعلى المجتمع تهيئة الفرص لمواصلة تحصيلهن العلمي العالي إذا أردن.

٥ تصدت عائشة لشبهات المستشرقين كما في كتابها تراثنا بين ماض وحاضر فشاركت في الدفاع عن حياض الدين وعززت مواقفها بالحجج القاطعة وارتفعت إلى مرتبة الجهاد الفكري فكان قلمها يترجم دقات قلبها الذي ينبض بالغيرة الصادقة لهويتها التي دفعتها إلى رفض الفكر الأجنبي وكافة صور التسلط والوصاية والأمراض البغيضة والآفات التي تسوغ للغرب نهب الخيرات.

٦ الاستجابة لرسالة الإسلام تعني التمسك بالسلوك الحضاري ونقد الأعراف الاجتماعية والمواريث القديمة التي تقلل من شأن مشاركة المرأة في الحياة العامة. لم تستسلم عائشة للظروف القاهرة التي كانت تعزل النساء وتمنع من ظهورها في الصحافة وميادين الكتابة فتحايلت بحكمة حتى حققت مقاصدها بعد رحلة كفاح شاقة.

٧ ألح على السياحة كي تطلع المرأة على ثقافات العالم ولكي تنشر العلم وتكون علاقات اجتماعية راشدة.

٨ تشجيع الفكر النقدي عند الناشئة كي يفتدوا الأباطيل والأوهام المنتشرة في الثقافات والتي تقلل من شأن المرأة.

إن شخصية عائشة - في جوانبها المضيئة - من أنصع الأمثلة علما وعملا للأمم المثالية، والمواطنة الفاعلة، والعربية العزيرة، والباحثة القديرة، والمسلمة العاملة، والداعية المفتوحة، والمرأة الطموحة، والموظفة العاملة، والمفكرة الحصيفة، والمجاهدة بقلمها وعلمها. إنها معلمة قديرة جابت الكثير من الدول العربية شرقا وغربا كأستاذة في الجامعات، وباحثة في المكتبات، ومفكرة في المؤتمرات.

### تحديات في حياة المرأة

تعتقد عائشة أن الإمام محمد عبده قام بتحديد الفكر الديني وزود قاسم أمين بأصول إسلامية لدعوته إلى تحرير المرأة (تراثنا بين ماضٍ وحاضر، ص ٥٨). لقد بنى قاسم أمين مطالبته بتحرير المرأة على قواعد الدين<sup>١</sup> (شعراوي، ٢٠٠٣، ص ٣٣٤، أحمد، ٢٠٠١، ص ٨٥) فكان في كتابه تحرير المرأة موقفا إلى أبعد الحدود.

قالت عائشة بنت الشاطيء (١٩٥٧م) "ونسينا أو جهلنا أن لنا ميراثا عتيدا أصيلا من التحرر والعزة والكرامة، وغاب عنا أن دعوة (قاسم أمين) قد نبتت بذورها في بيئة صديقه الإمام (الشيخ محمد عبده) إذ كان هذا الرائد يقدر حاجته إلى رجل من أئمة الدين، رحب الأفق حر التفكير حي الضمير، يشد أزره ويثبت فؤاده بما يعلم من حرص الإسلام على إعزاز المرأة والاعتراف لها بحقوقها الإنسانية والشرعية والمدنية، ويسلحه بأدلة تثبت أن تحرير المرأة يعتمد في حقيقته وجوهره على أصول إسلامية عريقة، وتنفي عن الإسلام تبعة ما صارت إليه المرأة على عهد الترك من جهل واسترقاق ونبد وهوان" (ص ٣٨٥).

وإذا أردنا تحديد موقف عائشة من قضايا المرأة إجمالا - وهي قضية لا زالت مفتوحة للنقاش الموضوعي - فلا بد من الإشارة إلى تلك الاستنتاجات المتناقضة في حقيقة هذا الأمر. كان البعض يظن

<sup>١</sup> قال محمد عمارة (٢٠٠١م) "أما "نوع" الحضارة التي يدعو قاسم أمين قومه إليها ويجذب أن تكون طريقهم لتجاوز التخلف، فقد حسم خياره بعد تردد في "المرأة الجديدة" عندما قرر أن التمدن الإسلامي ليس فيه حضارياً ما يصلح للعطاء المعاصر".

أنها متمتعة تجاه قضية تحرير المرأة والبعض وضعها في صفوف المتحررات والحق أنها كانت ذات علاقات شخصية جيدة مع الجميع وهذا لم يمنعها من نقد هؤلاء وهؤلاء نقدا قاسيا وكان موقفها نابعا من ثقافتها العربية الإسلامية (جبر، ٢٠٠١، ص ١٥٥ - ١٥٦) وكانت تنتقد ما تراه باطلا وفق قناعاتها وفي إطار منهجها البحثي المستقل دون موارد.

ألقت عائشة المزيد من الضوء على علاقتها بقضايا المرأة فقالت: "دراستي في التفسير واللغة والنصوص، كانت موجهة قصدا أو عن غير عمد إلى إثبات الوجود العلمي للمرأة الجديدة في المجال الذي يظن ألا مكان لها فيه ولا صبر لها عليه" (جبر، ٢٠٠١، ص ١٥٧). ومن جانب آخر تتحدث عن الثقافة السائدة نحو المرأة فتقول: "قبل أن يتاح لي تدبر آيات القرآن والتخصص في دراسة نصه المحكم، كنت معقدة الشخصية بمقولات شائعة عن الأنثى، محمولة على كتاب الإسلام، ولم يقصد أحد، فيما أعلم، للنظر فيها وتصحيحها، منها مثلا: أن حواء مخلوقة جانبية هامشية، لا تعدو أن تكون ضلعا من أضلاع آدم، الإنسان الكامل" (جبر، ٢٠٠١، ص ١٥٧).

تبععت عائشة جذور إشكالية المرأة إذ تعتقد أن محنة الوأد العاطفي والاجتماعي للمرأة المسلمة وإن كان قد استفحل في عصر الأتراك إلا أنه ابتدأ من العصر العباسي على أيدي رجال عاشوا بعقلية مجتمعة وأد المرأة معنويًا، وعزلها عن الحياة العامة وظلت المرأة مصفدة بأغلال الجهل إلى بداية القرن العشرين (بنت الشاطي، ١٩٦٣م، ص ٢١، ١٤، ٣١، ٥١). اتخذ المتشددون الحجاب "صورة القيد المعطل للحرية، ومن العلم الذي حيل بيننا وبينه طويلا باسم الدين". "والحق أن فهمنا للمرأة في المجتمع العربي، منذ ما قبل الإسلام إلى العصر التركي، قد داخلته عناصر من الزيف والخطأ والبهتان، انخرقت به عن الحق التاريخي، وأسأمت إلى حياة الجماعة الإسلامية إساءة بالغة، لا أغلو إذا قلت أنها عوقت سيرنا وأخرت مكاننا في الركب الإنساني المغذ في سيره، الجحد في تقدمه (عبدالرحمن، ١٩٥٧م، ص ٣٧٣، ٣٧٦).

ومن جانب آخر وامتدادا للشق السابق انتقدت عائشة (١٩٥٧م) الحركة النسوية في عصرها رغم إسهاماتها ويمكن تلخيص الانتقادات التي أخذتها على الحركات النسائية بالنقاط التالية:

١. خالط فهم الحرية معان من الجموح والتحليل، وصارت "المرأة الحرة" عند البعض هي التي تفعل ما تهوى، غير مقيدة بعرف ولا مكترثة بتقليد.

٢. سوء فهم معنى المساواة وإهدار كل الفروق بين جنسين.

٣. الغلو في الاستقلالية حتى طالب بعضهم بحذف نون النسوة من اللغة، وكأنما الأنوثة منقصة وعار.

٤. أضلت الحركة النسائية هدفها الأكبر والأسمى والأنبيل، فأهدرت الاعتراف بالأوممة كعمل أول للمرأة المتعلمة.



٥. وجهت التعليم نحو الهدف المنحرف.

وصفت عائشة واقع المرأة المعاصرة ورسالتها فقالت: "تشغلي قضايا، أهمها: تلبّس الإسلام بالعنف والإجرام، واستمرار اللغو في قضايا المرأة وموضعها في الإسلام. وعن نفسي طوّفت في الآفاق لأسأل عمّا أعطاني الإسلام، وتأكدت أنّ الإسلام أعطاني ما لو ظللتُ أكدح إليه العمر كلّ ما بلغته، وأخشى أن تكون الحركة النسائية المعاصرة أوقعت النساء في خصومة مع الرجل، مع أنّ ما بيننا وبينهم ليس تنافساً، لكننا رفاق رحلة عمر، ومن غير المتصوّر أن تقوم الحياة على الرجل وحده؛ لأنّ هذا ضد الفطرة والدين، إضافة إلى أن تأثير المرأة أخطر بجانب الرجل الذي تحمله جنيناً وترعاه رضيعاً وصبيّاً، فهل ممكن أن نقول إن نصف رئة المجتمع معطّلة؟ وهل تكون المرأة بلا عمل لو تفرّغت للأمومة؟" (الغريب، ٢٠٠٣م، باختصار).

نبحث عائشة في وضع منهج نقدي دقيق متوازن لتحرير المرأة في إطار إسلامي مستنير فانتقدت كل من التفسخ والتشدد معا ومثال ذلك قولها: "نشأ هذا الانحراف الضال نتيجة حتمية لعزلنا عن ماضينا المشرق، وبتنا من أصولنا العريقة وحجب المثل الكريمة لبطلات العرب والإسلام عن عيوننا، فحسبنا أن تحرير المرأة بضاعة غربية مستحدثة، واندفعنا نستورد من الخارج ما يسمونه حقوق النساء ونختار من باريس وهوليوود نماذج للمرأة الجديدة، وصارت الحرية في مفهوم أكثرنا، زيا أنيقا مما ترتديه نجوم الشاشة وغانيات الغرب، وانطلاقا جامحا يبيح للمسلمات - المتحررات - مجالسة الرجال في الملاهي والمراقص" (١٩٥٧م، ص ٣٨٤). وفي الوقت ذاته انتقدت عائشة علماء الدين الذين حرّموا الفتيات من التعليم لفترات غير قصيرة في التاريخ الإسلامي فلم تتخصص في دراسة اللغة والشريعة والتفسير والأدب العربي وتاريخ الإسلام بداعي الفتنة والستر والصون.

عندما نحلل مواقف عائشة العادلة تجاه الحياة العصرية نجدها ترحب بالتعلم وحرية العمل في العمل العام وفي الوقت ذاته تشجب المساواة المطلقة وتدم المدنية الزائفة التي تروج للتبرج والإباحية. إن هذا المنهج العادل المتوازن تجاه تيارين لهما تواجدهما المجتمعي (أحدهما يغذي الغلو والآخر ينمي التمرد) يدل على شجاعة عائشة الأدبية ورفضها السكوت عن التجاوزات عند غلاة المتدينين والعلمانيين على حد سواء. يعتبر الباحثان ذلك المنهج الرصين في التعامل مع المسائل هو المنهج الوسطي والإطار المنهجي السليم في فهم وتقييم وتقويم أوضاع المرأة.

إن بعض المنابر الدينية تشن هجوما حادا على التفسخ وتغض الطرف عن التشدد المقيت وتسكت عن ظلم التقاليد المكبلة للمرأة حتى أمسى الحجاب نوعا من الأصفاد. ومن جانب آخر تقوم بعض الحركات الليبرالية بنقد التدين بمناسبة ومن غير مناسبة باسم الحرية الكاذبة التي تبعد المرأة عن رسالة الأمومة والانتماء للأسرة. الطرفان يشتركان في منطقة التطرف وكلاهما لا يستحسنهما الضمير اليقظ والعقل الرصين.

كتابات بنت الشاطي غاية في الأهمية لا سيما تناولها تراجم النساء وكما يقول الخولي الأنثى أفهم للأنثى" (عبدالرحمن، ٢٠٠٢م، ص ٦٥٦). كانت بنت الشاطي تكتب بإسهاب عن سكينه بنت الإمام الحسين رضي الله عنهما حيث كانت ذات شخصية متميزة تجالس الرجال، ويجتمع لديها الشعراء، وتصغي إلى المغنين، وتسيطر على المجتمع الأدبي دون أن تتخلى عن اعتزازها بشرفها العالي وأخلاقها الرفيعة (ص ٧٧٢). إن الشخصية المتزنة في النسق الإسلامي من منظور بنت الشاطي تفتح على حركة المجتمع في كل أبعادها الدينية والفنية والأخلاقية والاجتماعية والإنسانية وتشارك المرأة بشكل حضاري دون أن تتنازل عن عز قيمها، وعرش شرفها. تنهل المرأة من العلوم والمعارف والفنون ما وسعها وهي أهل لأن تكون ذات ثقافة واسعة ومساهمات فكرية رائدة.

تقول بنت الشاطي (٢٠٠٢م) عن السيدة عائشة أم المؤمنين "عاشت لتصحح رأي الناس في المرأة العربية، وتشارك في حياة الإسلام أقوى مشاركة" (ص ٢٤٤). وكما تعلقت بسيدات بيت النبوة تعلقت بنت الشاطي بالقرآن الكريم الذي كرم المرأة فطالبتها بمشاركة الرجل في تعمير الحياة وإدارة الأمور بإرادة قوية كما حذرت في ذات الوقت من مدسوسات الإسرائيليات وأباطيل الأساطير التي شابت تراثنا الفكري وتركت أثرها في ممارساتنا لا سيما في قضايا المرأة. كما تقوم رؤية عائشة التربوية على الترفق في تربية النساء إذ لا يمكن توجيههن وإرشادهن بالشدة. لقد حذرت عائشة من أخذ النساء بالشدة لأنه منهج يخالف فطرة الإنسان كما أن الغلظة آفة وقع فيها من يفهم النصوص الدينية بحرفيتها.

تري عائشة أن الضلع تعبير مجازي، إنما هي وصية من نبي الإسلام بالرفق بالمرأة والتحذير من أخذها بالشدة، مثل قوله عليه السلام، "رفقاً بالقوارير" فهل خلقت النساء من القوارير؟" (الصاوي، ١٩٩٥م، ص ٢٢، ٥٣). وكلام عائشة يتفق في مخرجاته مع كلام محمد الغزالي (١٩٩٧م) إذ أن المعنى الحرفي للحديث قد يحدد عند البعض طرائق خاطئة لعلاقة الرجل بالمرأة لا سيما في وسائل تأديتها فالمرأة عاطفية كي تلد وتربي وتحمل الأعباء وهذا لا يضبرها ولا يكون سبباً لإهانتها وضربها (ص ١٦٥).

قرنت ابنة الشاطي التربية بالفضيلة الأفلاطونية الطاهرة فطالبت بمحاربة الرذيلة والإسراف. كانت تلك رسالتها قبل أن تبلغ العشرين من عمرها وعندما بلغت مجدها العلمي والأدبي استمرت في أداء رسالتها التي هي نواة شجرة فينانة ذات ظل وريف (اليومي، ١٩٩٩م، ج ٥، ص ٢٦٥). تقول هبة رؤوف عزت (٢٠٠٢م) "لم تكن بنت الشاطي كاتبة ومفكرة وأستاذة وباحثة فحسب؛ بل نموذجاً نادراً وفريداً للمرأة المسلمة التي حررت نفسها بنفسها بالإسلام" (الكندري وملك، ٢٠٠٨م، ص ٣١٥).

احتلت عائشة مكانة بارزة في خطاب وهموم المرأة في القرن العشرين وكانت تنظر بتفاؤل لحركة تحرير المرأة العربية فقالت بكل ثقة "ستحتل المرأة العربية مكانها الحقيقي في المجتمع، وبمضى محرفو القرآن بالهزيمة"

(العودات، ١٩٩٦ م، ص ١٣٧). ويعتبرها الراصدون من رموز تحرر المرأة وهي تسند إلى المرجعية الإسلامية في رؤيتها الأصيلة (الميلاد، ٢٠٠١ م، ص ٤٠). ورأيها الرصين في حرية المرأة وحقوقها يكشف رؤية قرآنية متفتحة، فكانت النموذج الإسلامي للمرأة (المطيعي، ٢٠٠٣، ص ١١٣-١١٩).

ألقت عائشة محاضرة نفيسة في دولة الكويت وذلك بقاعة مدرسة الشويخ الثانوية عام ١٩٥٧ م "فانبعث صوت الدكتورة بنت الشاطي من فوق منبر المحاضرات في الكويت لأول مرة" وكما تقول عائشة بنت الشاطي "وقد شرفني معارف الكويت<sup>١</sup> بالدعوة إلى هذا الموقف الذي لم تدع إليه سيده من قبلي". وهذه المحاضرة التاريخية في الكويت قبل أكثر من نصف قرن تكشف عن ملامح الحركة النسائية في بواكيرها، ما لها وما عليها، وتبين من جهة أخرى أهمية الأمومة في حياة أمتنا الجميدة. وانتقدت عائشة التشدد الديني من دون أن تستغني عن تعاليم الدين وميزت ببصيرتها بين الدين وعظمته وبين الفهم المنحرف للدين وهو فهم قد يغيب عن مدارك كثير من المثقفين. مارست عائشة الحرية الإنسانية لخدمة أمتها ورفعة شأن المعرفة وكشف جوانب الزيف والفهم الخاطي للنصوص المقدسة.

كثير من قصص عائشة المنشورة كانت تعبيرا فينا عن قضية المرأة (جبر، ٢٠٠١، ص ١٥٤). تكشف عائشة بشجاعتها الأدبية صورة قاتمة لا تزال في حياتنا العربية وهي ظاهرة تسمى قتل الشرف وهي تتدثر بعادات وقوانين متخلفة تطبق بقسوة على المرأة فقط بمجرد الشك بها. تقول في كتابها سر الشاطي وقصص من القرية عن الأب القاتل "فظل يضغط بيديه على عنقها، حتى سقطت جثة هامدة. وأحيلت الجثة إلى الطبيب الشرعي فجاء يشهد بأنها قُتلت عذراء طاهرة لم يمسه بشر". "وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ" (النور: ١٥) (ص ١٦٥).

### المرأة بين عائشة والعقاد

إن استكشاف فكر كل من العقاد وعائشة في نظرتهم ومقارباتهما لتربية المرأة في إطار المشهد الثقافي العام قد يقدم مدخلا للتيارات الفكرية في تناول القضايا العصرية. كل منهما استعان بالقرآن الكريم كمصدر لبناء نظريته وتوصل العقاد إلى أن الإسلام كرم المرأة لتساند الرجل ولا بد من تعليمها لتخدم أسرتها كما شن هجوما كبيرا على الطاعنين بالتوجيهات الإسلامية في هذا الشأن وفند الإسرائيليات ورد على الشبهات. تتفق بنت الشاطي مع العقاد في شطر كبير من تلك القضايا ولكنها

<sup>١</sup> وفي مقام التعريف بعائشة كتبت معارف الكويت في عام ١٩٥٧ م أنها "من ألمع الشخصيات العربية النسوية في ميدان الاجتماع والأدب والتعليم" (ص ٣٠٥).

بالتأكيد توسّع من شأن تعليم المرأة لتشارك أسرتها ومجتمعها في عملية البناء فالمرأة شقيقة الرجل وليست تابعة والمرأة عند عائشة ذات عقلية خلاقة مبدعة.

يرى العقاد أن الرجل هو المقصود في الخلق وهو المقدم في نية الطبيعة ولقد قام العقاد بتبرير موقفه ذلك بالكثير من الشواهد العقلية والدينية فالرجل عنده أفضل من المرأة في جميع الجوانب وهو موقف غريب حير بعض الباحثين (أرفار، ١٩٩٦ م، ص ٩٤، ٩٥، ١١١، قمير، ٢٠٠٢ م، ص ٢٨٧، الحيدري، ٢٨٣). حصيلة آراء العقاد في المرأة تضعها متممة للرجل وتابعة له (قمير، ٢٠٠٦ م، دراسات إسلامية في الثقافة والتربية، ص ٢٥٦). وللعقاد نظرية صريحة للعلاقات بين الجنسين من منظور عدائي محاب لتفوق الرجل (المرنيسي، ٢٠٠٤ م، ص ٣٦).

لم يتحدث العقاد كثيرا عن القيود الجائرة التي كبلت عملية تربية المرأة العربية في عصره والعصور الأخيرة ولم يفتح لها أبواب الإبداع الحضاري مقارنة بعائشة لأنه آمن أن الرجل في البداية والنهاية هو الأصل بينما أخذت عائشة تنقب في العوائق التي تحول بين النساء والقيادة العقلية وغيرها. لقد اكتشفت عائشة في نفسها طاقات ضخمة وفتشت عن آفاق نهضتها لأنها عانت الكثير وآمنت بأن طاقات المرأة في جميع الميادين لا تقل أهمية أبدا عن طاقات الرجل.

يتفق الباحثون والمراقبون كما يقول د. حلیم بركات (٢٠٠٩ م) على أن المرأة تحتل موقعاً دونياً في بنية العائلة العربية القديمة منها والمعاصرة، وموقف عباس محمود العقاد تجاه المرأة موقف رجعي في كتابه *المرأة في القرآن* (ص ٢٤٠ - ٢٤١). المرأة أخطر قضية معاصرة في المجتمع العربي وكان العقاد ينظر إليها نظرة فيها بقايا نظرة السيد إلى عبده مثل الشرقيين آنذاك في الأغلب الأعم ويختلف عنهم في منهجه في تأسيس الفكرة... وذهب مذهب الفلاسفة في إنكار حقوقها، ولم يتغير رأي العقاد في المرأة وسيادة الرجل بمعنى أن تكون المرأة تحت حماية سيد من الرجال وأخذ العقاد يبرر فضل الرجال على النساء من حيث الكفاية والقدرة على جملة الأعمال الإنسانية (دياب، بدون تاريخ، ص ٥٥٢، ٥٠٩، ٥١٨).

يؤكد العقاد (١٩٩٧ م) على خصلة الضعف الأصيل عند المرأة - في رأيه - وسرد ما ورد في كتب التفسير من إسرائيلييات واهية عن إغراء حواء لآدم وقصة الشجرة واستنتج منها أن "كل خلُق من أخلاق المرأة مرموز إليه في قصة الشجرة، ومنها الولع بالمنوعات كما يولع بها كل محكوم مضطر إلى الإتياع" (ص ٢٠). والسؤال هل علاقة الرجل بالمرأة علاقة حاكم ومحكوم وقاهر ومقهور كما تقودنا خطوات العقاد؟ هل هي علاقة تكامل أم تفاضل بين الطرفين؟ وأخيرا هل لمثل تلك القصص المهينة قيمة في العقل الناقد؟

لا تتفق عائشة مع القصص الذائعة التي تسللت إلى كتب التفسير والتي تقول أن حواء كانت سبب خروج آدم من الجنة. من الواضح أن عائشة شنت هجوماً واسعاً على الذين يرون المرأة بمنظور واحد ينحصر في وصف النساء بأنهن مادة للشهوة والمعصية والإغراء. ذكر المفسرون مثل الطبري والألوسي (العقاد، ١٩٩٧ م، ص ١٨، ١٩) قصصاً تسربت من بني إسرائيل تنص على أن حواء سبب إغراء وغواية آدم. عائشة رفضت بشدة وحزم قبول ذلك وفندت هذه المزاعم التي لا تتناغم مع ركائز القرآن الكريم. وعليه فمن "القضايا التي كانت مشار جدل، قصة هبوط أبونا آدم وحواء من الجنة، فالعقاد يستشهد، عن إيمان، بأن حواء أغوت آدم فكان ذلك سببا في خروجها من الجنة ... و بنت الشاطيء تنكر عليه هذا الفهم من القرآن الكريم (جبر، ٢٠٠١، ص ١٣٥). وهكذا تختلف رؤية عائشة عن العقاد في مسألة المرأة في بعض الجوانب الرئيسية، ولم يكن العقاد صاحب المعارك الفكرية الشهيرة ليترك عائشة من غير نقد شخصي حاد ولاذع (كريم، ٢٠٠٤ م، ص ٨٤). ولا شك أن رؤية عائشة الرجبة تهب الأنثى الثقة بالنفس أكثر لتسيطر على نفسها وتنظم حياتها وتعمّر حياتها وهي غاية من غايات التربية.

### الإفادة من إرث بنت الشاطيء

إن سيرة عائشة - في جانبها المشرق - خير نموذج لتكوين الباحث المسلم المتفاني في سعيه، المتأني في بحثه، الرصين في عطائه، الأمين في منهجه، المكين في فكره، المحايد في توجهاته، الشجاع في نقده رغم الملاحظات التي يمكن تسجيلها على كتابات عائشة ولا يسلم منها أي باحث في أي عصر. كانت عائشة تربط النقد الذاتي بالنضال العلمي لتحقيق النهضة الفكرية. كانت لا تستنكف من أن تطلب معونة الزملاء الدارسين لتجويد ومراجعة إنتاجها باستمرار. كانت رحمها الله دائمة المراجعة لما تكتب وكل ما يصدر عنها، فإذا كانت "جَهِيْرُهُ قَطَعَتْ قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ" فإن عائشة في مؤلفاتها تبذل الجهد كله، وتبحر بأمان وتطلب التوجيه لتراجع وتضيف وتصوب في عملها كما نجد ذلك جليا في مقدمة رسالة الصاهل والشاحج (١٩٨٤ م، ص ٧٧). بهذه الهمة العالية حققت عائشة ذخائر الكتب التراثية وأصلت العلوم المرتبطة بها ففتحت أبواب النضج الذاتي بصنيعها الجميل بذلا وتوفيقا ولم تزعم أبدا أنها تمتلك الصواب، ولم تر بأي حال من الأحوال أن قولها فصل الخطاب.

كانت عائشة باحثة دقيقة لا سيما في الكتابة "وتراجع كل النسخ المطبوعة من الكتاب الذي تريد تحقيقه حتى أن تحقيق ونشر كتاب ابن الصلاح استغرق منها ١٠ سنوات ما بين توثيق المتن أو المقارنة بين النسخ الخطية وما حوت من تصحيف أو سهو، وجمع تراجم كاتبها، هذا غير إضافاتها في تحقيق الفهارس، حتى وصلت طبعة هذا الكتاب إلى ٩٥٠ صفحة في حين أن بعض الطبعات لا تتعدى مائتي صفحة" (صلاح الدين وخفاجي، ٢٠٠٣ م).

ليس كل ما كتبه الباحثون صواب لهذا فإن دوام المراجعة الجادة لجهود السابقين من متطلبات الطريق القويم في تنقية وتنمية التراث الإنساني. قال الطيب أبو اليسر عابدين المفتي العام للجمهورية السورية سابقاً في كتابه *أغاليط المؤرخين* "أما موسوعة بنت الشاطي فحسن الظن بها يحملنا أن نقول عن موسوعتها عدم مراعاتها ما في مقدمة هذا الكتاب من شروط التثبيت بنقل الأخبار الذي يحمل الإنسان على جمع ما يجد كحاطب ليل، ولا يخرج كتابها عن أنه كتاب تاريخ وأقاصيص يحوي كغيره الغث والسمين" (عابدين، ص ٢٤٤). ولعل سبب الخلاف في بعض نواتج عائشة العلمية هو المنهج المتبع لديها فهي "لم تحصر نفسها في المنهج الذي يعالج به المؤرخون موضوعاتهم، بل عمدت إلى إتباع منهج هو مزاج بين المنهج التاريخي ومناهج أخرى معروفة عند الأدباء والصوفية" (جبر، ٢٠٠١، ص ٢١١). ولا يعني هذا أن عائشة كانت متساهلة في تطبيق القواعد بل تختلف رؤى الكتاب حسب مقاصدهم ووسائلهم ومعاييرهم. قالت عائشة "أنا أخرج دائماً من الحديث عما لا أعلم" (الشملان، ١٩٨٦ م، ج ١، ص ٧٩)، وكانت تعني بالمراجعة الدقيقة لأبحاثها وتغير رأيها حسب المستجدات العلمية التي تصل إليها كي يكون عملها أرحب أفقا وأعمق تناولا كما نجدتها في مقدمة كتابها *الحنساء* (عبدالرحمن، ١٩٦٣ م). ورغم الملاحظات التي لا يسلم منها أي باحث فإن بنت الشاطي تبوأ مكانة حميدة في وعي العلماء (الطيب، بدون تاريخ).

وفي كتابها *القرآن وقضايا الإنسان* تحدثت عائشة عن مبادئ الأمانة العلمية وتُظهر قيمة البحث العلمي في تقدم المجتمعات فتؤكد على أن العلم فريضة في الإسلام والشهادة أمانة، وكلمة الحق مسؤولية وتكليف. وهنا تعلن عائشة أن عصرنا ما حقق شيئاً من تقدمه العلمي الرائع إلا بإيمانه بالتخصص وإصراره على وضع الحدود التي تحول دون استباحة أي مجال للمعرفة، لغير ذوي الخبرة والاختصاص. لا نحتاج كل أجهزة العصر الحديثة إنما يعوزنا عقلية يضبطها منطق علمي (ص ٢٨٠، ٤٢١، ٣٤٧). وترى المؤلفة أن "من أعز ما يقدمه الإسلام إلى المنهج العلمي، مبدأ "لا أدري" فرضاً على العالم، أي عالم، أن يقولها إذا سئل عما لا يدري" (ص ٤٣٣). وتذهب عائشة إلى أن هذا منهج إسلامي أصيل حيث أنها اطلعت على الوثائق التاريخية لعلماء أمتنا فوجدت العلماء يؤكدون على ذلك المعنى فعلى سبيل المثال يقولون "فأجزته فيما تجوز عني روايته من معقول ومنقول وفروع وأصول، بشرط أن يقول: لا أدري، فيما لا يدري. وأن يواظب على الاستفادة والإفادة" (ص ٤٤٤). "ومضت عصور حققت الأمة وجودها الحضاري بقيادة من علمائها، لا يقول أحدهم بما لا يدري ولا يتكلم إلا في مجال تخصصه العلمي" (ص ٤٤٤).

العودة لمحاسن الماضي في إطار فقه المراجعات مطعماً بأحدث مناهج البحث الحديث نجده جلياً وحاضراً في فكر عائشة لا سيما في كتابها *تراثنا بين ماضٍ وحاضر*. كيف يمكن استلهام الماضي لتعميق الوعي الاجتماعي وتحقيق النمو الحضاري؟ كان أمين الخولي يقول: أول خطوة في إحياء الماضي تكمن

في قتله بحثا، ويقصد قتله وتجاوزه بالبحث وأن التقديس للماضي هو انتحار ثقافي، من المهم أن نمتص من التراث كل العناصر المعرفية، ثم نهمّل كل الخلايا الميتة فيه، لتدخل هذه العناصر الحية بنسيج وعينا المعاصر، فإذا لم يساعدنا الماضي علي فهم الحاضر وتعميق وعينا فيه، وإذا لم نستمد منه طاقة لبناء مستقبل متجدد سنظل ندور في نفس الدوامة (انظر : بدر، ٢٠٠٦ م). استفادت عائشة من زوجها المفكر أمين الخولي أن الطالب لا يستطيع أن يصل بالبحث إلى غاية يتوقف عندها بل يعيش العمر كله طالبا للعلم وجهد طالب العلم لا يقاس بمدى ما قطع من أشواط بل يقاس بسلامة منهجه (على الجسر، ١٩٨٦م، ص ١٣٤).

وبصراحة متناهية تطرقت عائشة إلى ظاهرة متنامية في مؤسسات التعليم فقالت "نحن الآن نعرف أساتذة وعمداء في الجامعات، يسرقون الكتب ويسلقون تأليفها، في يوم أو يومين، ناهيك أن نسأل عن التأليف المضني أو الجاد" (العميم، ١٩٩٩م، ص ٢٦٢). والحق أن الأمانة العلمية خلق إنساني أحل به كثير من الباحثين مما ساهم في تقليل مصداقية البحث العلمي وقبل أن نلوم انتشار ظاهرة الغش عند الطلبة هل قدم المعلمون القدوة الحسنة للأمانة العلمية في كتبهم وأبحاثهم وأعمالهم؟

ومن جانب آخر فإن الأصالة مرتبطة بالمعاصرة، وعلاقة المثقف العربي بثقافة الغرب علاقة تراها بنت الشاطي في حالة مزرية فمازلنا ننظر إلى مثقفي الغرب نظرة الأدنى للأعلى مع هالة التقديس رغم أنهم بشر وأعمالهم قد تعثرها الأخطاء الفادحة (عبدالرحمن، ١٩٦٨م، أعمداء البشر، ص ١٧٩). شتان بين الصنفين المختلفين؛ صنف المثقف العربي المهزوم وصنف المثقف الغربي المغرور. تأملت بنت الشاطي من انتشار مظاهر الانبهار بالفكر الغربي وهوان ما هو عربي في أرض العروبة وعند المثقفين حتى صار الأصيل غريبا، وصدق أبو العلاء المعري:

أولو الفضل، في أوطانهم، غرباء، تشدّ وتنأى عنهم القرباء

ورغم حرصها على نقد الاستشراق في مواطن كثيرة إلا أنها كانت تستفيد من دراساتهم بل قد تنحى على الصواب الذي تراه في أعمالهم فاعترفت للغرب الأوربي بأنه الذي لفت من حيث يدري أو لا يدري إلى تراث أبي العلاء المعري فالتفتنا إليه بعد طول غفلة وإهمال (١٩٧٢م، ص ٣١٠، عبدالرحمن، ١٩٩٩م، الغفران دراسة نقدية، ص ٤٢). لقد أتقنت عائشة اللغة الألمانية والإنجليزية (وفاء الغزالي، ١٩٩٩م، ص ١٣٨) وزارت بعض البلدان الأجنبية بحثا عن المخطوطات فتعاملت مع المستشرقين بصورة مباشرة وكونت رأيها فيهم على هدي الحقائق التي ظفرت بها.

قضت عائشة ما يقارب من ثمانين سنة من التعلم والعطاء فلم تغير معتقدها بعظمة العروبة وسمو الإسلام فكانت تسأم من سماع الكلمات والنظريات الغربية التي يضحج بها ميدان النقد الفني في العالم العربي ويتم إقحامها في المسائل. كانت تؤمن بأن الأمة متعطشة لرؤى أصيلة وحركة فكرية تجديدية نابعة

من أصلتنا ولا يتحقق ذلك إلا حين تتحرر الأمة العربية من عقدة النقص وتكتشف منابع الحقبة في كيانها (عبدالرحمن، ١٩٦٣م، ص ١٣٣). لقد آمنت عائشة بحق الجيل الجديد بأن يجدد ويبدأ من حيث انتهى سلفه الصالح وأن يضيف إلى رصيد العصور الخالية (وفاء الغزالي، ١٩٩٩م، ص ٣٥).

اقتربت عائشة من حركة الاستشراق وتعاملت معها بحذر إذ أنها ترى أن هناك قلة من علماء الاستشراق الأمناء "لكن الواقع التاريخي يؤكد أن حركة الاستشراق جملة، وجهت في مراحلها الأولى إلى خدمة غرض آخر، لا يعنيه تراث الشرق إلا بقدر ما يكشف عن عقليات شعوبية وأمزجتهم وأسرار ذاتهم ومواضع القوة والضعف فيهم، توطئة لحمالات التبشير وموجات الاستعمار التي تدفقت على شرقنا الآسيوي الأفريقي، من القرن الثامن عشر" (ص ٥٠). إن دور التربية اليوم هو الحفاظ على القيم العربية الإسلامية والتوعية بخطورة التقليد الأعمى للغرب (محمد، ٢٠٠٩م، ص ٣٨٦، ٣٨٨) وهذا الجهاد الفكري الذي كانت عائشة تسعى إليه، وتؤمن به، وتضحى من أجله.

وعلى مستوى استثمار طائفة من أعمال عائشة في النسيج الإعلامي الآخذ في الاتساع يوماً بعد يوم فإنه يمكن الاستفادة من ذخائر عائشة إعلامياً بصور متعددة. تصلح بعض روايات عائشة الأدبية للإنتاج الإعلامي (جبر، ٢٠٠١م، ص ٢٧٢) لما فيها من أبعاد إنسانية تجسد هموم الفقراء والمقهورين والضعفاء. ولقد ذكرت بنت الشاطئ (١٩٨٤م) ثلاث قصص قصيرة على ألسنة الحيوان (النملة، الحية، الطير، والأسد) نقلاً من أبي العلاء في مقدمة رسالة الصاهل والشاحج وهي جديرة بالعناية لإعطاء الدرس والعبرة كما أنها تدل على سعة الأدب العربي وتعين على بيان ملامح شخصية أبي العلاء المعري (ص ٤٩). تلك القصص يمكن إعادة صياغتها بلغة عصرية مبسطة مع تزويدها برسومات توضيحية ومثل هذه الروائع هي كنوز من ذخائر التراث العربي والإنساني يمكن ترجمتها إلى عدة لغات. تتضمن تلك القصص الاشتغال بالمطالب العالية وعدم الشماتة بالأعداء علاوة على أخلاقيات رفيعة تضارع سحرها قصص إيسوب الحكيم اليوناني.

وعلى مستوى التربية الاجتماعية فنتاج عائشة في غاية الأهمية. وإذا كانت بعض التيارات الدينية تتبنى قضايا المرأة بمنظور الضرورات وأن خروجها للعمل يخضع للظروف القاهرة (قطب، ١٩٨٩م، ج ١، ص ١٠٨) فإن عائشة تؤمن بالحقوق المدنية للمرأة لا سيما حقها في العمل لكن دون أن تتخلى عن دورها الأسري ولا تناقض بين الأمرين إن أحسنت المرأة في إدارة حياتها. تناولت بنت الشاطئ قضايا المرأة بمنهج معتدل لا يجامل المتشددين من جهة ولا يهادن غلاة الليبراليين من جهة أخرى فانتقدت تقصير تشدد الشرق وتهاون الغرب في هذه المسألة الحساسة.

إذا تتبعنا المنحى العلمي لعائشة فإننا نجد أنها تتمتع بروح الباحث الدؤوب، وهمة المحقق الأمين، ونشاط الكاتب المنهجي، وإنتاج المفكر الأصيل الذي لا يهجر محاسن التراث ولا يتنكر لقواعد



الأخلاق. لقد تعمقت عائشة في دراسة الثقافة الإسلامية لأنها مبعث رقي العقل المسلم ولهذا لم تتورط هذه المفكرة في نقد ثوابت الدين كما فعل لفييف من أنصار تحرير المرأة من العلمانيين وغيرهم. وجدت عائشة ضالتها في الإسلام الذي يسع كل أمر حسن فسارعت للدعوة إليه وهي فخورة به، وفقهه فيه، لأن الإسلام سبيل سعادة المرأة والرجل على حد سواء. قال جل ثناؤه "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (النحل: ٩٧). لقد نالت عائشة تقدير العلماء والمؤسسات الفكرية في العالم الإسلامي لأنها تمسكت بأهداب الإصلاح في إطار سياق النسيج الشرقي ولم تستورد شروط النهضة ونماذج التغيير والتربية من بيئة غريبة، ومصادر مريبة.

المبادرة في المساعي الحميدة والتفاؤل في استشراف المستقبل، واستكشاف المجهول، والثقة بقدرات وطاقات المرأة ومواجهة الصعاب بالعزم من أهم الدروس التي يمكن أن نتعلمها عمليا من خبرات بنت الشاطيء. كتبت عائشة في ريعان شبابها (١٩٤٣م) إن المرأة "ستمضي في الطريق الوعر إلى النهاية، وسيراها القرن الحادي والعشرون قد فتحت معقلين موصدين اليوم أمامنا. أما الأول فهو باب الأزهر، تدخله عنوة ولو كره الرجال، لتفقه الحدود الشرعية وتنتفع بها، وتفسرها تفسيراً تراعي فيه مصلحتها كما فعل الرجل من قديم الزمان. وأما الثاني فهو باب البرلمان، تدخله إثر معركة رهيبية (شاكر، ٢٠٠٥م، ج ٢، ص ٥٠). ولقد تحققت رؤية عائشة فكانت أول امرأة تحاضر في الأزهر<sup>١</sup> (جبر، ٢٠٠١، ص ١٤٥) وساهمت في التفسير بأسلوب موضوعي قدر استطاعتها. تقول عائشة عن جيلها لقد استطعنا ونحن "بنات أمهات من صميم جيل الحريم أن نقطع الطريق الطويل من ظلمات الحريم التركي إلى هذه المناصب القيادية" (جبر، ٢٠٠١م، ص ١٥٣). حياتها حكاية نُسجت خيوطها من التفاؤل وكما قالت "فاليأس في حساب الحياة، هزيمة" (مقال في الإنسان، ص ١٦٨). ولا زال درب إبداعات المرأة العربية يرحب بالمزيد من المكاسب والمواهب والخيرات.

يمكن توظيف تراث عائشة في غرس مفهوم خدمة المجتمع والفكر والثقافة وبناء الشخصية الإسلامية لا سيما شخصية المرأة وتحريرها من عقدة الدونية والنظرة السلبية. أسهمت عائشة بنت الشاطيء في تمثيل

---

<sup>١</sup> قالت عائشة "تاريخنا يسجل أن الأزهر قد كان لمدى عشرة قرون، مركز النقل في حياتنا السياسية والفكرية... فالأزهر يظل دائما، كالعهد به لمدى قرون ذات عدد، صورة للثقافة الإسلامية حسب ما يتطلبه كل عصر: دافعة أو معوقة حية أو جامدة" (جبر، ٢٠٠١، ص ١٥١). وتحسرت على حرمان المرأة من دخول الأزهر فقالت عائشة (١٩٥٧م) "وُفُتحت أمامنا أبواب معاهد التمثيل والرقص والطيران، وكليات الهندسة والتجارة والحقوق والطب البيطري، وأوصدت في وجوهنا حتى الساعة - أبواب الأزهر والمعاهد الدينية، كأنما يحل لبنات المسلمين أن يتخرجن ممثلات بإجازة رسمية من دولة دينها الإسلام ويحرم عليهن أن يتفقهن في دينهن، وأن يدرسن تاريخنا ولغتنا" (ص ٣٨٤).

الفكر الإسلامي المستنير فكتبت كثيراً عن فضائل أمهات المؤمنين ثم ردت شبهات المستشرقين ودحضت مفتريات الحاقدين كما شاركت كمعلمة في مؤسسات التعليم، وكباحثة على صفحات الجرائد والمجلات، وكمحاضرة في الندوات العربية والدولية. لقد لاقت جهودها رواجاً كبيراً واستحساناً عظيماً ولهذا وجب علينا سبر غور سيرتها لبيان أسباب تفوقها كي تكون هذه المفسرة الأدبية الجليلة قدوة حسنة لمن بعدها من أجيال التجديد الأصيل.

وفي إطار تنقية المناهج الدراسية تدعو عائشة إلى التخلص من الرواسب التي شوهت تراثنا الأدبي وتطالب بتحرير "أذواقنا من سيطرة الأذواق التي ورثناها من مخلفات عهود الضعف والانحطاط... وهدم الأسوار التي عزلت أبنائنا عن أجمل ما لنا من تراث" (جبر، ٢٠٠١، ص ٨٥). وفي كتابها قيم جديدة للأدب العربي تحدثت عن الكتب المدرسية وانتقدت ظاهرة التكرار والتقليد فيها وضعف القيمة الأدبية ودخول الرثاء في المدح (ص ٥٤ - ٥٥). إنها ترى أنه آن الأوان لأن نضع في المناهج نماذج حية كريمة لمن كانوا في المجتمع العربي سادة وقادة، بين أيدي أبنائنا يغذي وجدانهم بدلا من شعر المذلة والتسول والنفاق الذي راج عند بعض الشعراء (ص ٦٠).

ترى عائشة أن مشكلة المناهج الدراسية المعاصرة أنها تحتوي على شعر صارخ بحساسيته العجيبة للدرهم والدينار ومعاذ الفن الأصيل أن يعلي من شأن المادة على حساب قيم السيادة والقيادة في حياتنا الطامحة إلى وجودنا الكريم (ص ١٤٨ - ١٤٩). وترى أنه يجب أن لا نصدم أبنائنا الطلاب بأقوال مضطربة متناقضة فتحدث عن فضائل العرب في قديمهم ثم نخالف ذلك ونسأه في صفحات أخرى (ص ٩٣-٩٤).

وتشير عائشة إلى تعليم العربية وأزمتنا اللغوية: "ليست عقدة الأزمة، في اللغة ذاتها، العقدة فيما أتصور هي أن أبنائنا لا يتعلمون العربية لسان أمة ولغة حياة، وإنما يتعلمونها بمعزل عن سليقتهم اللغوية: قواعد صنعة وقواعد صماء، تجهد المعلم تلقينا والتلميذ حفظا، دون أن تكسبه ذوق العربية ومنطقها وبيانها" (لغتنا والحياة، ص ١٨٧). ومن عوامل الضعف اللغوي عند أبنائنا من منظور عائشة أن "الناس يتعلمون في المدارس والجامعات ولكنهم لا يقرأون لأسباب كثيرة منها: مثوية اللغة، فعندنا لغتان: لغة الحياة ولغة الكتابة وبين اللغتين عزلة محكمة". وعلاوة على ذلك فهي ترى أن ضعف الثقافة العامة من عوامل تدني المستوى العام الذي يقوم على أساس القراءة أو كما تقول "التربية في مجتمعنا لم تنتج القارئ الذي يقرأ، والصبية ينشأون فلا يجدون المكتبة ضمن أثاث البيت. ولا يجدون المادة الصالحة التي يمكن أن يقرأها النشء. وعلى الكتاب أنفسهم يقع العبء الأكبر من مسئولية كساد البضاعة" (جبر، ٢٠٠١، ص ٢٧١).

أبرزت عائشة آليات النجاح في الحضارة الإسلامية وأهمها بناء المكتبات والتأليف والقراءة. وفي كتابها *تراثنا بين ماضٍ وحاضر* قالت عائشة "إن حاضرننا لا يمكن أن يستغني عن تجارب ماضينا، وعن الفحص الدقيق لأرضه التي يقوم عليها البناء الجديد" (ص ١٣٨). وتحدثت بنت الشاطئ عن تراثنا وبحث فيه عن دور المكتبات في رقد الفكر العربي والإسلامي فتحدثت بإسهاب عن بيت الحكمة ببغداد ومكتبة العزيز بالله الفاطمي بالقاهرة ومكتبة الزهراء بقرطبة. وبعد ذلك انتقلت إلى الحديث عن محنة تراثنا بسبب الغزو الصليبي والصراع المذهبي والإعصار التتاري. إن إعادة دور المكتبات في المدرسة والمجتمع قضية إصلاحية غاية في الأهمية والخطورة.

ولا شك أن عائشة أدركت أهمية تدريس اللغة العربية فالاعتناء بها من مصادر الإبداع الفكري والجمالي في عالمنا الإسلامي. يقول زكي نجيب محفوظ لغة "الإنسان هي نفسه وهي شخصه في حقيقته" (الجعفري، ٢٠١٠م، ص ١٤٢). قالت عائشة (١٩٥٧م) لغتنا العربية "من مقومات وجودنا وعناصر قوميتنا" (ص ٣٨٤). وقالت أيضا "العربية أداة نطقنا وتفكيرنا، ولسان قوميتنا، ووسيلة الثقافة والتعبير عن إنسانيتنا، واللغة التي تصلنا بتراث أسلافنا وتاريخ أمتنا، وبها نتفاهم ونلتقي عبر حدود الزمان والمكان" (*لغتنا والحياة*، ص ٩). وقالت في كتابها *القرآن وقضايا الإنسان* البيان أداة الإنسان "في التعبير المبين، ووسيلته إلى ممارسة قدرته على التفكير وأهليته للتعلم التي استحق بها أن يكون خليفة في الأرض" (ص ٥٩).

ومن جانب آخر في مجال المناهج الدراسية تؤمن عائشة بدراسة العلوم التجريبية الطبيعية ولكن دون إهمال العلوم الأدبية (جبر، ٢٠٠١، ص ٢١٤). ورغم أنها قللت من شأن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم خشية من تحبط غير المتخصصين والخوض في آيات الله بلا برهان يقيني إلا أنها كانت تحث على الاجتهاد في طلب العلوم والتجديد فيها ومراجعة المناهج الدراسية ونقدها حسب مقتضيات البحث الموضوعي. وفي كتابها *أرض المعجزات: رحلة في جزيرة العرب* قالت عائشة أن سلفنا قدموا "جديدا أصيلا من العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية ودخلوا التاريخ العلمي روادا لآفاق لم يستشرفها أحد قبلهم فكانوا هم الذين أصلوا المنهج التجريبي الاستقرائي، وأعطوا أوليات الكتب العلمية في الطبيعيات والرياضيات، وقدموا معها مخترعاتهم من أجهزة التجربة المعملية والرصد الفلكي والخبرة الجغرافية والملاحية. وبفضلهم تم نقل العلوم إلى مجال البحث التجريبي الذي لم تعرفه الفلسفة اليونانية بمنهجها العقلي النظري. وكان رصيد خبرة العلماء المسلمين وتجربتهم وتراثهم العلمي، قاعدة الأساس لعصر العلم الحديث الذي حقق تقدما باهرا في الغرب الأوروبي، انطلاقا من عصر الإحياء "الرينسانس" الذي قام على تراث الحضارة الإسلامية وتزود بعطائها" (ص ٣٢-٣٣).

وأبعد من ذلك تذهب عائشة إلى أن الإسلام دين التطور وتقرر باطمئنان كامل بأنه "لا تعارض على الإطلاق بين التطور والمحافظة"، بل هما على التحقيق متكاملان: تمضي الأمة مع حركة الزمن بجيوية متجددة واستجابة مرنة وعقلية متفتحة، دون أن تفقد ذاتها أو يخونها وعيها فيما تأخذه من غيرها وما ترفض: لا تتحرج من نقل كل جديد في العلم، واستعارة ما يعوزها من ضرورات الحياة المادية، دون العقيدة واللسان والقيم والمثل والأخلاق وأصيل التقاليد، وكل ما هو من عناصر ذاتها الخاصة وشخصيتها المتميزة" (الشخصية الإسلامية، ص ١٧٦ - ١٧٧).

توفيت بنت الشاطي في عام ١٩٩٨م بعد حياة حافلة تستحق أن تكون قدوة حسنة للمرأة المسلمة التي جسدت باقتدار سماحة الرسالة الإسلامية التي تحث على تعليم المرأة وترفض الخضوع للعادات الظالمة التي جثمت على ساحة التعليم في ديارنا منذ أمد بعيد. كانت دراستها الموسعة لسير سيدات بيت النبوة والتعمق في تفسير القرآن الكريم دافعاً لصقل مواهبها، وتجديد حياتها، وخلود ذكرها. رحلت عائشة من عالم الأحياء بعد أن دخلت ذاكرة الفكر الإسلامي من أوسع أبوابه وبقيت قصتها جسراً من الجسور التي تقودنا نحو حياة أفضل أساسها البصر بمتطلبات العصر وإفادة من موروثات الأمة وإجالة خاطر لبناء الشخصية السوية، والأسرة المتناسكة، والدولة المتكافلة.

## النتائج

١. لعبت التربية الصوفية بقصائدها ودقائقها وقادتها ومناسباتها الدينية ومنهجها الوجداني دوراً حاسماً في تشكيل ضمير وسلوك وفكر وعطاء بنت الشاطي. هذا الأمر يدل بجلاء ودون كبير عناء على قوة وقدرة الفكر الصوفي عبر القرون على رfid الفكر التربوي وتقديم نماذج فريدة دون التخلي عن إعلاء شأن العقل الذي هو مناط التكليف في الإسلام.
٢. تقوم الشخصية الإسلامية على ملامح أساسية في منظور عائشة أهمها الانتماء للإسلام ورسوخ الإيمان، وإدراك بشرية الفرد وفهم طبيعته وتلبية متطلباته، والموازنة بين المادية والروحية، والعبادة والعمل، والدين والعقل، والموازنة بين المحافظة والتجديد. وركزت على أهمية العلم والإرادة والعمل كركائز أساسية لبناء الشخصية الإسلامية.
٣. التدهور الذي أصاب المرأة العربية لا يقره الإسلام أبداً بل الابتعاد عن نهج الدين الإسلامي هو الذي أضر بمسيرة المرأة العربية فانخرقت أهداف التربية وتشوهت شخصية المرأة وتخلفنا عن الركب الحضاري.
٤. تناولت بنت الشاطي قضايا المرأة بمنهج معتدل لا يجامل المتشددين ولا يهادن غلاة الليبراليين فاننقدت تشدد الشرق وتهاون الغرب في هذه المسألة. هذا المنهج الوسطي يتضمن الأصالة والمعاصرة وهو من

<sup>١</sup> من الأصول المقررة عند المنصفين أن الإسلام يحمل أسس التطور (الخولي، ٢٠٠٨م، ص ٤٣)، وأنه لا يعوق التطور ولعل تجربة ماليزيا العصرية خير مثال واقعي (محمد، ٢٠٠٥م ٢١٥).

أقرب المناهج في تمكين المرأة وتكوين شخصيتها ورفع مكانتها ومن أكثرها أماناً لحماية مسيرة المجتمع وتنقيته من التطرف.

٥. لا يهدف البحث العلمي عند عائشة إلى تبرير ما هو رآكد موروث ولا تسويق ما هو وافد مستورد بل البحث رحلة منهجية مضمينة نسير فيها ونستفيد منها، وليست مرحلة آنية نصل إليها ونتوقف عندها.

٦. احترام التخصص العلمي والبحث الجاد المستمر وعدم الخوض فيما نجهل والأمانة والدقة العلمية أعز ما يقدمه الإسلام إلى المنهج العلمي وهو سر تفوق الأمم.

٧. توصلت عائشة إلى جذور إشكالية المرأة المسلمة وأنها وإن كانت قد استفحلت في عصر الأتراك إلا أن ملاحظتها أخذت تتشكل في العصر العباسي على أيدي رجال عاشوا بعقلية مجتمع وأد المرأة معنوياً، وعزلها عن الحياة العامة وظلت المرأة في الغالب مصفدة بأغلال الجهل إلى بداية القرن العشرين.

٨. درست عائشة أعلام الفكر العربي من الجنسين في التراث وقدمت في هذه الدائرة دراسات منهجية موسعة وفيها إشارات للخلال الحميدة في الشخصية الإسلامية (الحرية العزة والشجاعة والثقافة والاعتزاز باللغة العربية، والتمسك بالدين الإسلامي) التي تتناولها وتطل من خلالها في العموم على ملامح السلوك الإنساني المعتدل من غير جامع خيال ومن غير غفلة عن متطلبات العصر.

٩. تمسكت عائشة بأهداب الإصلاح في إطار سياق النسيج الشرقي ومصادره الأصيلة من قرآن وسنة وتراث زاخر، واجتهاد مستمر، وانفتاح حذر على النافع من علوم البشر. لم تستورد عائشة شروط النهضة ونماذج التغيير والتربية من بيئة غريبة ومصادر مريبة. الإصلاح إعمال للعقل لا استيراد ونقل.

١٠. العلم وحده لا يغني عن التجربة والخبرة في تكوين الشخصية المتفتحة القادرة على العطاء والبناء.

١١. لن يستقيم حال المجتمعات ما لم تهتم فلسفتها التربوية وبرامجها التعليمية بالأومومة وترفعها إلى أعز مقام، وتتيح للمرأة فرصة التنمية الشاملة لكي تصنع الحياة لا تابعة للرجل بل شقيقة له، قريبة منه، عزيزة عليه.

١٢. من أسباب ضعف الشخصية الجهل بالفكر الإسلامي والانحراف عن أصيل مبادئه والعزوف عن نقي نبعه والاستسلام للمؤثرات الخارجية دون تمحيص.

١٣. الأمة العربية متعطشة لرؤى أصيلة وحركة فكرية تربوية تجديدية عصرية مستنيرة نابعة من أصالتنا ولا يتحقق ذلك إلا حين تتحرر الأمة الإسلامية من عقدة النقص وتكتشف المنابع العربية الحقة في كيائها فتنتقل نحو موكب الكرامة إضافة وإبداعاً، وثقافة وتسامحاً، وقوة وشموخاً.

## التوصيات

١. توفير برامج إعلامية شائعة تناسب الناشئة تقدم روائع عائشة عبد الرحمن (أشرطة سمعية-أفلام وثائقية-عرض القصص الأدبية على المسرح) وتقرب أفكارها للجيل الجديد فكلامها الجزل ومنطقها الموفق يرتقيان بذائقة المتعلم والمعلم على حد سواء.
٢. تطعيم المناهج الدراسية ببعض المختارات التربوية في قضايا الأمومة ومعوقات تربية المرأة المسلمة عبر القرون وذلك من وحي كتابات عائشة بنت الشاطي التي أفادت وأجادت في هذا المجال.
٣. فتح أبواب الحوار الموضوعي وتشجيع النقاش الفكري في المؤسسات التعليمية لمعالجة سبل بناء الشخصية الإسلامية الأصيلة المتكيفة مع عصرها، البصيرة بمصالحها.
٤. عمل ملخصات للدراسات التربوية المنشورة في المجالات والكتب المتخصصة والتي تعني بالمفكرين في عالمنا الإسلامي ووضع معطياتها في متناول الجميع على شبكة الانترنت بأكثر من لغة فالتربية الإسلامية تربية عالمية تسع الإنسانية، وتستوعب التنوع، وتحث على التعارف والتفاعل.
٥. تشجيع الأنشطة الميدانية والتجارب العملية في المجال التربوي لأن العلم وحده لا يغني عن التجربة والخبرة في الحياة والإنسان لا يتحرر من أوهام العاطفة وأغلال الأعراف إلا بذلك. من الأهمية بمكان أن يمارس المسلم - من الجنسين - التجارب العلمية العملية ويسير في الأرض متديرا سائحا، لتحقيق آية الله فيما سخر للإنسان لاجتلاء عجيب السنن الكونية المحكمة واستثمارها لتنمية النفس وخدمة البشرية.

#### ملحق (١) طائفة من عبارات عائشة عبد الرحمن

من كتابها مقال في الإنسان

ومن حرية الاعتقاد، أن يكون للإنسان حق السؤال حين تعوزه طمأنينة القلب وهو حق أقره كتاب الإسلام بصريح آيته المحكمة (البقرة ٢٦٠) ص ٩١.

التفسير البياني للقرآن الكريم

"وفي السائل قيل: المستجدي، وقيل هو طالب العلم (الزمخشري والنيسابوري) وصرح ابن القيم بأن (آية الضحى) تتناولهما معا يعني: سائل المعروف والصدقة، وطالب العلم. واختار (الطبري) كل ذي حاجة واختار الشيخ محمد عبده: المستفهم عما لا يعلم، وهو عندنا أولى بالمقام، ويؤيده الاستئناس بالاستعمال القرآني لمادة (سأل) حيث ترد كثيرا في هذا المعنى، كما يرجحها سياق الآيات قبلها" (ج ١، ص ٥٢، ٥٣).

الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: دراسة قرآنية ولغوية وبيانية

"ولولا ما أعلم من مكانة جلييلة للمرأة المسلمة في تاريخنا، لأحجمت عن التقدم إلى هذا الميدان الجليل... مع الكتاب المعجزة عشت عمري كله، وفي المدرسة القرآنية كانت تلمذتي الطويلة التي تولاهها أبي في مراحلها الأولى. وإليها انتهى تخصصي في الدراسة العليا التي وجهني إليها أستاذي الإمام (أمين

الخولي)" (ص ١١). "وما أكثر ما يذكر القرآن هذا الإنسان بضعفه وهوانه، كبحا لجماح غروره كيلا يتجاوز قدره فيطغى. وهو مظنة أن يتمادى به الغرور والطغيان إلى حد الكفر بخالقته والوقوف منه تعالى موقف خصيم مبین" (ص ٢٣٥). الإنسان مخلوق بفطرته لتحمل المكابدة والمسؤولية وأمانة التكليف والابتلاء بالشر أو الخير (ج ١، ص ١٧٩). "فالإنسان المخلوق في كبد، أهل لأن يقتحم أشد المصاعب ويجتاز أفسى المفاوز، على هدي ما تهيأ له من وسائل الإدراك والتمييز، وما فطر عليه من قدرة على الاحتمال والمكابدة" (ج ١، ص ١٨٣). "والإيمان مناط العقيدة الإسلامية. لكن المسلم قد يظن أن إيمانه يصح بمجرد أداء العبادات، فهو من ثم، في حاجة إلى التنبيه لأن صحة الإيمان تنفي الغرور والاستعبد والقسوة" (ج ١، ص ١٨٨).

### قيم جديدة للأدب العربي

"إن وعينا لذاتنا يقتضي حتما أن نعرف ماضينا، وإن حياتنا اليوم لا يمكن أن تقوم إذا بترت منها أصولها" (ص ١٩). "شعر الصوفيين لم يجد مكانا في كتب الأدب لأن الأدب دار في فلك السياسة ولولا أن كتب "التصوف وطبقات الأولياء حفظته، لضاع فيما ضاع من آثار أدبية" (ص ١٤٠). "وأعتقد أن الأديب الذي يفقد اتصاله بتاريخ قومه وتراث أمته لا يصلح بحال ما أن يعبر عن وجدانها المعاصر لأن فقدان وعيه لشخصيتها يجعله أجنبيا عنها غريبا عليها، لا ينتمي إليها إلا الانتماء الرسمي الذي يشبه انتماء الطائرين عليها من المستوطنين والدخلاء" (ص ١٦٥).

### المرأة في المجتمع العربي أمس واليوم

"لسنا إذا يا سادة، سليلات إماء مسترققات، ولا نحن حديثات عهد بالكرامة والعزة، وليست حقوق المرأة التي يتشدد بها العصر طارئة علينا أو بضاعة مجلوبة من الغرب، وذلكم ماضينا يشهد بأن من نساء هذا الشرق من اصطفاها الله وجعلها آية، ومنهم من جعل هموم أمومتها - إذ تسعى بين الصفا والمروة باحثة لوليدها عن قطرة ماء في الوادي الأجرد - عبادة وقرباناً، ومنهم من ارتفعت إلى مقام الملك كالزباء وبلقيس وحثشبسوت وكيلو باترا وشجرة الدر، ومنهن من جاوزت هذا في العصور الأولى فصارت آله كإيزيس، ومنهن في كل عهد وفي كل مكان من الشرق الكبير، صانعات الأبطال ومنجبات الرجال" (ص ٣٧٧). "بقيت المسلمات على عهد الخلفاء الراشدين، يشاركن في الحياة العامة، ويسعين فيما يعينهن من شؤون الدين والدنيا، ويروين الحديث، ويرويه عنهن الصحابة والتابعون، ويخضن في معترك الأحزاب، دون أن تقام حولهن الأسوار. وظلت هذه حالهن إلى قريب من العصر التركي، وعرفت لهن الحياة الإسلامية مكانهن فيها، واعترفت بهن في المجال العلمي والفقهى بوجه خاص، حيث ارتقت النابحات منا إلى رتبة المشيخة في الفقه والحديث واللغة" (ص ٣٧٩).

"وصارت الحرية في دنيا النساء إلى نقيض معناها الأول، فبعد أن كانت الحرائر هن المصونات العزيزات، أمسين في أحلك عصور الشرق الإسلامي المستعبدات الذليلات. وباسم الإسلام عزلت

المرأة العربية عن الحياة، ونبذت من المجتمع وألقيت فيما يشبه السجن، وفرض عليها - إلى أيام أُمِّي رحمها الله - ألا تخرج من البيت إلا إلى القبر. وباسم الدين حيل بينها وبين العلم الذي هو فريضة على كل مسلم ومسلمة" (ص ٣٨١). "ولقد أنضجتنا التجربة القاسية، فأصبحت الحرية في تقديرنا - كما كانت عند أمهاتنا في أزهى عصور الإسلام الأولى - مرادفة للكرامة والوعي ورمز ترفع وتصون وإباء! وعلمتنا شهيدات جيلنا، أن ليس أتعس ولا أضيع من أنثى تنكرت لفطرتها، وتمردت على طبيعتها، فخرجت من دنيا النساء ولم تلحق أبداً بدنيا الرجال! وصارت من حقنا، بل من واجبنا، أن نضع كل تجاربنا وآلامنا في خدمة من يأتين على أثرنا، وأن نحدد لهن مكائهن في المجتمع العربي الجديد، ودورهن الجليل في بناء حاضرة ومستقبله" (ص ٣٨٧).

### المراجع العربية

أبو زيد، منى أحمد (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م). محمد عبده وقضايا المرأة. في الإمام محمد عبده مائة عام على رحيله ١٩٠٥م-٢٠٠٥م. تحرير: إبراهيم البيومي غانم، وصلاح الدين الجوهري. ط ١، القاهرة: دار الكتاب المصري. أبو زيد، محمود (٢٠٠٨ م). الوعي بالمجتمع: التاريخ الفكري لمصر القرن العشرين. القاهرة: دار غريب. أحمد، صلاح زكي (٢٠٠١ م). أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث. القاهرة: مركز الحضارة العربية. الأرنؤوط، محمود (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م). أعلام التراث في العصر الحديث. ط ١، الكويت: مكتبة دار العروبة. أرفار، علي (١٩٩٦ م). صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلماني. ط ١. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

الألمعي، إبراهيم مضواح (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م). التلميذة الخالدة عائشة (بنت الشاطيء). في المعرفة. العدد ٣٢ المملكة العربية السعودية: وزارة التربية والتعليم.

بدر، أنور (٢٠٠٦ م). صلاح فضل: أول خطوة في إحياء الماضي تكمن في قتله وتجاوزه. موقع جهة الشعر:

<http://www.jehat.com>

بركات، غسان معلا (٢٠٠٩ م). دور الفكر العربي الإسلامي في التربية بين الماضي والحاضر. في مجلة العلوم التربوية. العدد الأول، يناير ٢٠٠٩ م. جامعة القاهرة: معهد الدراسات التربوية.

بركات، حلیم (٢٠٠٩ م). المجتمع العربي المعاصر: بحث في تغير الأحوال والعلاقات. ط ٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

البيومي، محمد رجب (١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م). النهضة الإسلامية في سير أعلام المعاصرين. ط ١، بيروت: دار القلم.

البيومي، محمد رجب (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م). عائشة عبدالرحمن: بنت الشاطيء. في موسوعة أعلام الفكر الإسلامي. إشراف وتقديم: محمود حمدي زقزوق. القاهرة: وزارة الأوقاف (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية).

جبر، حسن (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م). بنت الشاطيء من قريب. القاهرة: دار الكتاب الحديث.

جرادات، رائد وليد (٢٠٠٩ م). الرؤية النقدية ومعيار المرأة عند طه حسين. في مجلة العلوم التربوية. العدد الأول، يناير ٢٠٠٩ م. جامعة القاهرة: معهد الدراسات التربوية.



- الجعفري، ماهر إسماعيل (٢٠١٠م). *الإنسان والتربية: الفكر التربوي المعاصر*. الأردن: دار اليازوري العلمية.
- الجندي، أحمد (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م). أربعة كتب للسيدة عائشة عبدالرحمن ( بنت الشاطيء). السنة ٣٨، المجلد ٣٨، ج ١، ص ١٤٩ - ١٤٤. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. دمشق.
- الجوزية، ابن القيم (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م). *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*. تحقيق: أ. سيد عمران، و أ. علي محمد علي. القاهرة: دار الحديث.
- الحجاجي، حسن بن علي (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م). *الفكر التربوي عند ابن القيم*. ط ١، جدة: دار حافظ.
- الحيدري، إبراهيم (٢٠٠٣م). *النظام الأبوي واشكالية الجنس عند العرب*. ط ١، بيروت: دار الساقى.
- الخولي، أمين (٢٠٠٨م). *المحددون في الإسلام*. القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الخولي، سمحة أمين (١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م) سمات أجلها في شخصية والدي: أمين الخولي. في مجلة *الهمال*، العام الحادي عشر بعد المائة، جمادى الثانية ١٤٢٤ هـ - أغسطس ٢٠٠٣ م.
- داود، فاطمة (٢٠٠٤م). *التصوّف الإسلامي، مفهومه وأصوله*. في *حوليات التراث*، العدد ١، جوان ٢٠٠٤. مجلة دورية تصدرها كلية الآداب والفنون - جامعة مستغانم (الجزائر). <http://Annales.univ-mosta.dz>
- الدسوقي، محمد (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م). *أيام مع طه حسين*. ط ١، دمشق: دار القلم.
- دياب، عبدالحمي (بدون تاريخ). *المركبة في حياة العقاد*. القاهرة: دار الشعب.
- الرصافي، معروف (٢٠٠٤م). *على باب سجن أبي العلاء*. الكويت: جريدة القبس.
- رضوان، حنان أحمد (٢٠٠٨م). *الفكرة الصوفية ودورها في التغيير الاجتماعي: دراسة تربوية للخطاب الروائي لنجيب محفوظ*. في *مستقبل التربية العربية*. العدد الرابع والخمسون. الإسكندرية: المركز العربي للتعليم والتنمية.
- الرومي، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م). *اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر*. ط ٣، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- زكي، حاتم (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م). *الإسلام العقلاني*. موقع يساري (تاريخ الدخول ٢٢-٨-٢٠٠٩م): <http://www.yasary.com/222>
- زهرة الخليج (١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م). "بنت الشاطيء" النموذج المضىء لنورانية الدين والفكر الإسلامي". في *زهرة الخليج*. أبوظبي: (مجلة أسبوعية، متنوعة تصدر عن الإمارات للإعلام)
- سالم، أحمد محمد (٢٠٠٩م). *الإسلام العقلاني: تجديد الفكر الديني عند أمين الخولي*. القاهرة: مكتبة الأسرة؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- السحمراني، أسعد (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م). *البهائية. موسوعة الأديان (الميسرة)*. عرموش، أحمد راتب، وآخرون. ط ٤، بيروت: دار النفائس.
- سعيد، محمد (٢٠٠٤م). *بناء الإنسان في الفكر الصوفي الإسلامي قراءة أولية في الأدب الصوفي* (١٣٥ - ١٤٢). في *حوليات التراث*، العدد ١، جوان ٢٠٠٤. مجلة دورية تصدرها كلية الآداب والفنون - جامعة مستغانم (الجزائر). <http://Annales.univ-mosta.dz>
- سليمان، منير عطا الله وآخرون (١٩٧٢م). *تاريخ ونظام التعليم في جمهورية مصر العربية*. القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية.

- السورطي، يزيد عيسى (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م). *السلطوية في التربية العربية*. سلسلة عالم المعرفة. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- السياسة (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م). فقيهاً بين الأصالة والمعاصرة: الدكتورة عائشة عبدالرحمن جاهدت بالعلم والقلم. *جريدة السياسة*، السنة ٣٧، العدد ١٢٩٢٤.
- الشاروني، يوسف (١٩٩٦ م). *مع التراث*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- شاکر، فؤاد (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م). *حصار القرن العشرين: نساء شهيرات*. ط ١، القاهرة: دار المصرية اللبنانية.
- شعراوي، هدى (٢٠٠٣ م). *مذكرات هدى شعراوي رائدة المرأة العربية الحديثة*. الكويت: جريدة القبس.
- الشلقاني، هند مصطفى علي (٢٠٠٩ م). *قضايا المرأة وحقوقها في التعليم والعمل ومسألة الزي ودورها في المجال العام*. في مؤتمر "اتجاهات التجديد والإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث". مكتبة الإسكندرية-١٩-٢١ يناير ٢٠٠٩ م.
- الشملان، سيف مرزوق (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م). *تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي*. ط ٢، الكويت: منشورات ذات السلاسل.
- شيخو، لويس (بدون تاريخ). *تاريخ الآداب العربية*.
- الصاوي، محمد وجيه (١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م). *الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم: دراسة تحليلية لآراء العقاد وعائشة عبدالرحمن*.
- صلاح الدين، عبير، وخفاجي، ريهام (١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م). ندوة بنت الشاطئ: المرأة والعصر. موقع إسلام أون لاين: <http://www.islam-online.net>
- الطيب، عبدالله (بدون تاريخ). *محاضرة [صوتية] عن اللغة العربية والمعاصرة*. الإمارات الجمع الثقافي.
- عابدين، الطيب أبو اليسر (١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م). *أغاليط المؤرخين*. ط ٢، مكتبة الغزالي.
- عبد الرحمن، عائشة (١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م). *المحاضرة الثالثة عشرة: المرأة في المجتمع العربي أمس واليوم*. محاضرات الموسم الثقافي الثالث (١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م). معارف الكويت: الطبعة الثانية. مطبعة حكومة الكويت.
- عبد الرحمن، عائشة (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م). *قراءة في وثائق البهائية*. ط ١، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر.
- عبد الرحمن، عائشة (١٩٦٣ م). *الشاعرة العربية المعاصرة*. محاضرة ألقته على طلاب قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالمية: جامعة الدول العربية. بيروت: دار الكتاب العربي.
- عبد الرحمن، عائشة (١٩٦٨ م) *مقال في الإنسان: دراسة قرآنية*. ط ٣، مصر: دار المعارف.
- عبد الرحمن، عائشة (١٩٦٨ م). *أعداء البشر*. يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، الكتاب ٤٦، الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (لجنة التعريف بالإسلام).
- عبد الرحمن، عائشة (١٩٦٨ م). *الخنساء*. القاهرة: دار المعارف.
- عبد الرحمن، عائشة (١٩٧٠ م) *تراثنا بين ماضٍ وحاضر*. ط ٢، مصر: دار المعارف.
- عبد الرحمن، عائشة (١٩٧٣ م). *مع أبي العلاء في رحلة حياته*. بيروت: دار الكتاب العربي.
- عبد الرحمن، عائشة (١٩٧٧ م). *الشخصية الإسلامية: دراسة قرآنية*. ط ٢، بيروت: دار العلم للملايين.
- عبد الرحمن، عائشة (١٩٨٣ م). *أرض المعجزات رحلة في جزيرة العرب*. ط ٣، القاهرة: دار المعارف.
- عبد الرحمن، عائشة (١٩٨٤ م). *رسالة الصاهل والشاحج*. ط ٢، القاهرة: دار المعارف.

عبد الرحمن، عائشة (١٩٨٦م). *على الجسر بين الحياة والموت*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.  
عبد الرحمن، عائشة (١٩٩٠م). *التفسير البياني للقرآن الكريم*. ط ٥، القاهرة: دار المعارف.  
عبد الرحمن، عائشة (١٩٩٠م). *مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح*. طبعة جديدة ومحررة، القاهرة: دار  
المعارف.

عبد الرحمن، عائشة (١٩٩١م). *لغتنا والحياة*. ط ٢، القاهرة: دار المعارف.  
عبد الرحمن، عائشة (١٩٩٢م). *سر الشاطئ وقصص من القرية*. ط ٢، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.  
عبد الرحمن، عائشة (١٩٩٢م). *قيم جديدة للأدب العربي القاسم والمعاصر*. ط ٢، القاهرة: دار المعارف.  
عبد الرحمن، عائشة (١٩٩٢م). *مع المصطفى صلى الله عليه وسلم*. القاهرة: دار المعارف.  
عبد الرحمن، عائشة (١٩٩٥م). *مقال في الإنسان: دراسة قرآنية*. ط ٣، القاهرة: دار المعارف.  
عبد الرحمن، عائشة (١٩٩٩م). *الغفران: دراسة نقدية*. ط ٤، القاهرة: دار المعارف.  
عبد الرحمن، عائشة (١٩٩٩م). *القرآن وقضايا الإنسان*. القاهرة: دار المعارف.  
عبد الرحمن، عائشة (٢٠٠٤م). *الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: دراسة قرآنية ولغوية وبيانية*. ط ٣،  
القاهرة: دار المعارف.

عبد الرحمن، عائشة (بنت الشاطئ) (٢٠٠٣م). *صور من حياتهن في جيل الطليعة من الحرم إلى الجامعة*. الهيئة  
المصرية العامة للكتاب.

عبد الرحمن، عائشة (بنت الشاطئ). (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م). *تراجم سيدات بيت النبوة رضي الله عنهن*.  
القاهرة: دار الحديث.

عبدالحفي، رمزي أحمد (٢٠٠٦). *قاسم أمين والتربية*. ط ١، الإسكندرية: دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر.  
عزت، هبة رءوف (١٤٢٣ - ٢٠٠٢). *عائشة عبد الرحمن.. (بنت الشاطئ)*. في موقع إسلام أون لاين:

<http://www.islam-online.net>

العقاد، عباس محمود (١٩٩٧م). *المرأة في القرآن*. القاهرة: نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.  
علي، سعيد إسماعيل (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م). *القرآن الكريم: رؤية تربوية*. ط ١، القاهرة: دار الفكر العربي.  
علي، سعيد إسماعيل (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م). *الإصلاح التربوي عند محمد عبده*. في الإمام محمد عبده مائة عام  
على رحيله ١٩٠٥م - ٢٠٠٥م. تحرير: إبراهيم البيومي غانم، وصلاح الدين الجوهري. ط ١، القاهرة: دار الكتاب  
المصري.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٦م). *النزعة العقلية في الفكر التربوي الإسلامي*. ط ١، القاهرة: عالم الكتب.  
عمارة، محمد (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م). *شخصيات لها تاريخ*. ط ١، القاهرة: دار السلام.  
عمارة، محمد (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م). *قاسم أمين الأعمال الكاملة*. ط ٣، القاهرة: دار الشروق.  
عمارة، محمد (٢٠٠١م). *قاسم أمين.. من "المصريون" إلى "المرأة الجديدة"*. موقع إسلام أون لاين (تاريخ  
الدخول: ٢٠٠٩-١٢-٢): <http://www.islamonline.net>

العميم، علي (١٩٩٩). *العلمانية والممانعة الإسلامية: محاورات في النهضة والحداثة*. ط ١، بيروت: دار الساقبي.  
العوا، محمد سليم (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م). *شخصيات ومواقف عربية ومصرية*. ط ١، بيروت: دار المعرفة.

الغريب، علي محمد (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) "بنت الشاطي" تقول: المرأة المتفرّغة للأُمومة ليست بلا عمل! في موقع لها أون لاين: <http://www.lahaonline.com>

الغزالي، محمد (١٩٩٧م). كنوز من السنة. ط٣، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر.  
الغزالي، وفاء (١٩٩٩م). بنت الشاطي رحلة في أمواج البحر. القاهرة: دار أخبار اليوم: قطاع الثقافة.  
الفيل ، توفيق (١٩٨٧م). المهرجان الفكري الأدبي الذي أقيم على شرف الدكتورة عائشة عبدالرحمن ( بنت الشاطي ) دمياط ج.م.ع. من ١٤-١٦ / ٣ / ١٩٨٧ م. في المجلة العربية للعلوم الإنسانية. السنة ٧، المجلد: ٢، يوليو ١٩٨٧م. العدد : ٢٧، ص ٢٤٨-٢٥٤. الكويت: جامعة الكويت.  
القاضي، محمد (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م). العاملة المتميزة: الدكتورة عائشة عبدالرحمن "بنت الشاطي". في الوعي الإسلامي. العدد ٤٠٥ - السنة السادسة والثلاثون - ص 43 - 41، أغسطس / سبتمبر ١٩٩٩م. الكويت.  
قطب، محمد (١٤٠٨هـ-١٩٨٩م). منهج التربية الإسلامية. ط٩، القاهرة: دار الشروق.  
قمبر، محمود (٢٠٠٢م). المرأة بين التصورات والممارسات في التراث الإسلامي والدور التربوي المطلوب. في مجلة مستقبل التربية العربية. المجلد الثامن، العدد ٢٧، أكتوبر. مصر.  
قمبر، محمود (٢٠٠٦م). دراسات إسلامية في الثقافة والتربية. ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث.  
كريم، سامح (٢٠٠٤م). عباس محمود العقاد: الحاضر الغائب. ط١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.  
الكندري، لطيفة حسين وملك، بدر محمد (١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م). تعليقة أصول التربية. ط٣، الكويت: مكتبة الفلاح.

متولي، فؤاد بسبوني (٢٠٠٠م). من أعلام الفكر التربوي. الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.  
محبوب، عباس (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م). نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم. ط١، عجمان: مؤسسة علوم القرآن.

محمد، محضير (١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م). الإسلام والأمة الإسلامية: خطب وكلمات مختارة. ط٢، بيروت: دار الفكر المعاصر.

محمد، مديحة فخري محمود (٢٠٠٩م). دور التربية في مواجهة التغريب بالمجتمع المصري "رؤية مقترحة". في المؤتمر العلمي التاسع: تحديات التعليم في العالم العربي في الفترة من: ١٠ - ١١ نوفمبر ٢٠٠٩م. جامعة المنيا: كلية التربية.  
محمد، أحمد عبدالعال (٢٠٠٩م). الشيخ محمد أبو زهرة وفكره التربوي. تقديم: أد. مصطفى رجب. مصر: دار العلم والإيمان.

محمد، عبدالفتاح محمد (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م). أبو العلاء المعري معلماً. في مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العددان ٩٩ و ١٠٠ - السنة الخامسة والعشرون - تشرين الأول ٢٠٠٥ - رمضان 1426 . موقع اتحاد الكتاب العرب.

المرجع الأكبر للتراث الإسلامي. الإصدار الثالث.

المرنيسي، فاطمة (٢٠٠٤م). المفهوم الإسلامي حول الجنسانية الأنثوية الفاعلة. في المرأة والجنسانية في المجتمعات الإسلامية. تأليف: بينار ايلكا راكان. ترجمة: معين الإمام. ط١، دمشق: دار المدى.

المطيعي، لمعي (١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م). موسوعة نساء ورجال من مصر. ط١، القاهرة: دار الشروق.

ملك، بدر محمد (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م). عائشة عبد الرحمن. في مقدمة في الفكر التربوي الإسلامي. تأليف بدر حمد المحيلبي. ط١، الكويت: مكتبة الفلاح.

الموسوعة العربية العالمية (١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م). موقع الموسوعة العربية العالمية:

<http://www.intaaj.net>

الميلاد، زكي (٢٠٠١م). تجديد التفكير الديني في مسألة المرأة. ط١، المغرب: المركز الثقافي العربي.

الميلاد، زكي (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م). أمين الخولي وسؤال التجديد. موقع مدارك (تاريخ الدخول ٢٢-٨-

<http://mdarik.islamonline.net>: (٢٠٠٩م)

نصار، حسين (١٩٩٦م). أمين الخولي. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

نويهض، ناديا الجردى (٢٠٠٠م). نساء من بلدي. قدم له إلياس المراوي. ط١، بيروت: دار الحداثة.

### المراجع الأجنبية

Badran, M (1995). *Feminists, Islam, and Nation: Gender and the Making of Modern Egypt*. NJ: Princeton University Press.

Gesink, I, F (2007). Islamic reformation: A history of *Madrassa* reform and legal change in Egypt. In *Islam and education: Myths and truths*. Chicago: the University of Chicago press.

Hoffman-Ladd, V. J. (1995). Abd Al-rahman, Aishah. In J. Esposito (Ed.), *The Oxford encyclopedia of the modern Islamic world* (pp. 327-331). New York, NY: Oxford University Press.

Saīd, Amīnah al-. (2009). Encyclopedia Britannica. *Encyclopedia Britannica 2009 Student and Home Edition*. Chicago.

Shafīq, Durriyyah. (2009). Encyclopedia Britannica. *Encyclopedia Britannica 2009 Student and Home Edition*. Chicago.

Talhami , G. H (1996). *The Mobilization of Muslim Women in Egypt*. University Press of Florida: Gainesville, FL.

Wadud . A (1999). *Quran and Woman: Rereading the Sacred Text from a Woman's Perspective*. Oxford University Press: New York.